نرکسوس

اســـــم الكتـــــاب: نركســـــــــــــــــــوس
التـأليـــــــــــف: رانيـــــــــا رمضـــــــــان
نـــــوع العمـــــل: روايـــــــــــــــــــــــة
مراجعـة وإخـراج فنـي: عمـــــرو ســـــالم ســـــواح
رقـــــم الإيـــــداع: 2020/ 21184
التـــــرقيم الـــــدولي: 978-977-835-223-8
الناشـــــــــــــــر: دار زحمة كتاب للنشر والتوزيع
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر Facebook
za7ma-kotab@hotmail.com Email
002 01205100596 Tel
002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار زحمة كتاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة باي شكل
من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

نركسوس

رواية

رانيا رمضان

مُقَدِّمَة

إن الصدمات في حياتنا قد تكون سببًا في شعورنا بالأسى والتأثير علينا بالسلب إذا قررنا التساهل والاستسلام.. ولكن الأسوأ أن تعكس آثار عقدتك بسبب هذه الصدمة على مَن حولك.. وبذلك لن تكون قد دمرت ذاتك فقط بل دمرت مَن حولك بسبب عقدتك تلك.

★★★

دعوني لا أثرثر كثيرًا في المقدمة التي لا يقرؤها أغلب القراء، وأبدأ في الرواية التي أتمنى أن تستفيدوا منها، وتستمتعوا لما يذكر فيها من مواقفَ في طياتها.

★★★

(الفصل الأول)

*في عام ١٩٩٠ في السابع من ديسمبر في الإسكندرية في يومٍ كان ممطرًا جدًّا، نزل خبر وفاة الأستاذ حسين مثل الصاعقة على أسرته، فهو ما زال في منتصف العمر في الأربعين من عمره، لكنه تُوفي بسبب سرطان في الكبد.

* كان يومًا صعبًا جدًّا على زوجته التي كانت تعيش مع ابنتها نور ذات العشر سنوات وابنها سمير الذي كان عمره حينها عامًا فقط.

*كانت الأستاذة سميحة وحيدة في الإسكندرية، لا تعرف أحدًا، ولكن كانت موجودة في الإسكندرية نظرًا لظروف عمل زوجها، حيث كان يعمل مهندسًا في إحدى الشركات الكبرى.

* اتصلت سميحة بأهل زوجها لكي تقص عليهم هذه الحادثة المؤلمة والخبر الصاعق لكي يأتوا ويقوموا بكافة إجراءات الوفاة والدفن. ثم سافرت هي وأطفالها نور وسمير إلى محافظة الشرقية وكان معها البعض من أهل زوجها الذين كانوا معها في الإسكندرية لإتمام إجراءات الوفاة والدفن، ومن ثم ذهبوا إلى قريتهم في الشرقية لكي يتم الدفن في مقابر العائلة.

* قررت سميحة أن تظل في القرية مع أهلها وأهل زوجها حتى تمر هذه المحنة، ولكن لم يجتمع الناس في العزاء لكي يواسوها على وفاة زوجها، بل إن

أهل زوجها انهالوا عليها باللوم والعتاب وأنها السبب في وفاة زوجها لأنها كانت لا تحبه، وتفتعل المشاكل كثيرًا معه برغم مرضه، واتهموها بأنها كانت تفتعل كل ذلك عن قصدٍ لأنها تطمع فيما سوف يتركه لها بعد وفاته.

*حتى إخوتها انهالوا عليها باللوم والعتاب أيضًا وذلك لصلة القرابة بينها وبين زوجها فهو كان ابن عمهم، واتهموها بأنها السبب والعامل الأساسي في وفاته، لأنهم يعلمون جيدًا أن سميحة لم تحبه يومًا، وتزوجته فقط لإرضاء أهلها.

*إخوتها يعلمون جيدًا أنها لم تحب سوى سمير ذاك الشاب الذي ظلت تحبه سبع سنوات، وأنها تأخرت في الزواج بسببه، وهذا الأمر غير مألوف في القرى أن تتأخر البنت في الزواج.

ظلت ترفض كل من يتقدم لخطبتها من أجله، وفي النهاية صارحها بأنه لن يستطيع الزواج بها، لأنها في نظر أمه عروس كبيرة السن.... كان عُمر سميحة حينها سبعة وعشرين عامًا.

قالت له سميحة في غضبٍ وحزن:

_ لقد ضيعت شبابي في حبك وانتظارك يا سمير.

رد عليها بنبرة صوت يتصنع فيها الأسى والحزن، ولكن نظرته توحي باللامبالاة بها:

_وأنا أيضًا أحببتكِ جدًّا، ولكن هذا رأي والدتي وأنا لا أستطيع أن لا أرضيها.

أردفت سميحة والغصة تخنقها:

_ ولكنني تحملت بعدك وسفرك سنوات في الخارج من أجل بناء مستقبلنا.

ومن ثم بكت وتنفست الصعداء وأردفت:

- أنا أضعت سبع سنوات من عمري في حبك.... ومن أجل هذا الحب رفضت العديد من الفرص من أجلك فقط.

ومن ثم أخذت سميحة نفسًا عميقًا واستجمعت قوها وغضبها وأردفت:

- وفي النهاية تقول لي إن أمك ترفضني من أجل سني الذي ضاع من أجلك.

رد عليها سمير بنبرة رخيمة وهو مطأطئ رأسه للأسفل... وقال:

_ سامحيني يا سميحة... ولكن يجب أن تعلمي جيدًا أني أحببتك... ولكن كل شيء قسمة ونصيب...

وأكمل الكلام حتى دون أن ينظر في عينها حتى لا تكشفه عيناه أمامها:

_ وافقي على أول من يتقدم لكِ... ولا تحاولي أن تصلي إليّ بأي طريقة فأنا خاطب حاليا، وزواجي بعد شهر.

سميحة تنظر إليه في دهشة، والدموع تملأ عينها، وضحكة رُسمت على وجهها توحي بالسخرية منه... ضحكة تخبئ بها عمق الجرح الذي خلفه هذا الكلام في قلبها.

أردفت سميحة وهي تكلمه بتهكم:

_ حاليا خاطب؟! وزواجك بعد شهر؟! ياااااه، لمَ العجلة؟ كل هذا فقط

من أجل إرضاء والدتك... وأنا بالنسبة لك لا شيء!

*قال سمير وهو يهم بالرحيل:

_ يجب أن أمشي... لا أستطيع أن أقول لكِ شيئًا سوى: سامحيني.

سميحة تقول له وهي تنادي عليه، وهو يمشي وتاركها خلف ظهره:

_ لن أسامحك... لن أسامحك أبدًا يا سمير.

وظلت تبكي وحيدة منهارة.

*بعد يوم من ذلك اليوم المشؤوم الذي كسر فيه سمير قلبها، قررت سميحة أن توافق على الزواج من ابن عمها.... طبعًا ابن عمها لم يكن يَهيم بها حبًّا، ولكن أمه هي من طلبت يد سميحة من أجل أن يتزوجها لأن "حسين" حينها كان عمره ثلاثين عامًا ولم يتزوج بعد، وهذا على غير عادة أهل القرى، ولكن حسين كان منشغلًا بالدراسة حتى أصبح مهندسًا، ومن ثم اهتم بالعمل وانشغل به عن موضوع الزواج.

كان حسين في كل عطلة عندما كان يقضي عطلته في القرية مع أهله تفاتحه أمه في موضوع الزواج وهو كعادته يؤجل الموضوع ويقول: إن شاء الله، ويوعد أمه بأنه عن قريب سوف يجعلها سعيدة به.

حتى جاء اليوم الذي وافقت فيه سميحة على الزواج من حسين.. من ثم فاتحته أمه في الموضوع مرة أخرى.. ثم قال لها لكي يرضيها: إنه موافق، وهذا

ليس بسبب رغبته حقًّا في الزواج، ولكنه بالفعل شعر بالملل من تكرار هذا الموضوع من والدته عندما تراه، وفي الوقت نفسه لم يجد داعيًا أبدًا أن يرفض اختيار أمه في الزواج من سميحة فهي كانت فتاة شابة، يانعة، جميلة، بيضاء، ذات قوام رشيق ولا يظهر عليها السن، ومتعلمة... ولكن في الحقيقة لم يفكر بها يومًا سوى أنها ابنة عمه.

*مر شهران وتزوج حسين بسميحة وأخذها معه إلى الإسكندرية حيث مكان عمله.

مر الوقت وكانت سميحة تفتعل الكثير من المشاكل على الرغم من أنها ما زالت عروسًا جديدة ولا يوجد سبب للخلاف، وكان حسين أيضًا ليس من النوع الذي يحب المشاكل، فكان عندما يرى سميحة تبدأ في المشاكل يترك البيت ويذهب إلى الخارج فيخرج من البيت كي لا ينفعل عليها ولكي يهدأ، وتهدأ هي أيضا.

عند كل مشكلة يخرج حسين من المنزل ويذهب إلى أصدقائه.. وهذا الأسلوب كان يريح سميحة جدًّا.

كانت سميحة من نوع النساء القليلات اللاتي لا تردن وجود الرجل معهن في البيت... وأولئك النسوة قلة قليلة فعلًا... لأن أغلب النساء يردن وجود الرجل معهن في البيت.. ولكن سميحة كانت العكس.

*كان حسين يشتكي لصديقه المقرب محمد من زوجته ويقول له:

- إن سميحة زوجتي كثيرة المشاكل ومُنكِّدة بمعنى الكلمة.

رد عليه محمد وهو يقهقه ضاحكًا:

_كل النساء بلا استثناء يحبون النكد والمشاكل.

تنفس حسين الصعداء وأردف قائلا:

_ولكنني سئمت جدًّا من هذه الحياة، لم يمر على زواجنا شهر وأشعر أني بالفعل أختنق... أنا من البداية لم أرغب في الزواج نظرًا لما أسمعه من شكوى أصدقائي.. لم أحب يومًا أن أدخل هذه الدوامة.. ولكنه أمر الوالدة.

رد عليه محمد مهونًا عليه:

_هذه سنة الحياة يا حسين.... نصيحتي لك أن لا تحاول أن تنسحب من حياتك الجديدة بكل هذه السهولة والسرعة.. لأنك إن تركت امرأة من أجل أنها منكدة وتذهب لتجرب حظك مع غيرها... سوف تكون مثل من يترك وطنه ويسافر إلى وطنٍ آخر لأن وطنه به مطر وشتاء.. هذا كان مثلًا ل "أجاثا كريستي" تحكي في أن من تترك رجلًا من أجل أنه خائن، ولكن أنا حوّرته لك لكي يكون مناسبًا لحالتك أيضًا... اسمع يا صديقي نكد النساء شر لا مفر منه. الراحة ليست هنا أبدًا؛ الراحة في الآخرة... والدنيا دار ابتلاء.. وأنت ابتلاؤك زوجتك.. فتقبلها كما هي.. فالنساء نسخة لا يوجد اختلافٌ كبيرٌ في شخصياتهن بالرغم من اختلاف أشكالهن.

شعر حسين بالأسى أكثر من كلام محمد بدلًا من أن يرتاح ... ولكن حسين قرر أن يسلم أمره لله ويحمد الله على قضائه له.. ومن ثَمّ استأذن من محمد وأخبره بأنه يود الرحيل لأنه متعب جدًّا.

الحقيقة مؤلمة في بعض الأحيان.

*ظل حسين يفكر في كلام صديقه وهو يمشي في طريق عودته إلى المنزل يفكر كثيرًا وهو يتنسم هواء البحر العليل ونسماته الباردة التي تداعب وجهه، ذلك الجو الذي طالما أحبه حسين الذي يهون عليه ما يمر به.

يتنفس هواء البحر الذي يساعده على التخلص من الغصة والضيق والخنقة التي تسببها له سميحة أو أي موقف آخر يمر به.. لقد كان البحر الصديق الحقيقي إلى حسين... أكثر شيء يحبه حسين في البحر بأنه يسمع له، يسمع له فقط، وهذا أكثر شيء يحتاجه أي شخص يشعر بالغصة، يحتاج من يسمع له أكثر من تقديم النصائح الذي لا يستخدمها أحد بالرغم من علمنا إياها... فكان البحر نعم الصديق له لأنه يسمع له ولا يمل منه أبدًا ويحنو عليه بنسماته التي تداعب وجهه وخصلات شعره الناعم، كأن البحر يقول له: لا تحزن كل شيء سيكون على ما يرام.

ظل يفكر في حياته التي تغيرت فجأة إلى ما هو أسوأ. وكان يتردد في عقله كلام صديقه محمد.. قال حسين في نفسه: "أنا لا أريد أن أترك زوجتي لكي أجرب فكرة الزواج من جديد، أنا فقط أريد أن تعود حياتي مثل ما كانت من قبل".

شعر حسين بالتردد وبعض الغضب وأمسك بحجرٍ صغيرٍ ورماه في اتجاه البحر وقال متمتمًا: "ولكن الطلاق فكرة شبه مرفوضة في المجتمع بشكل عام وخاصة في القرية التي جئت منها، بما أني ليس بإمكاني أن أطلقها فعليها أن

تستمع لشروطي لكي يستمر هذا الزواج".

*رجع حسين إلى بيته ولم يجد سميحة في انتظاره بوجهها العابس ولم يسمع حتى صوتها الغاضب المعاتب كالعادة لكي تسأله: أين كنت لهذا الوقت.

دخل حسين غرفته فوجد سميحة نائمة ويظهر على ملامحها الإعياء.

أيقظها حسين برفقٍ عندما رآها في تلك الحالة وسألها بهدوء ذاك السؤال المعروف:

-سميحة... هل أنتِ نائمة؟

ردت عليه سميحة في انفعالٍ كعادتها برغم مرضها:

-نعم يا حسين.. وماذا ترى... هل تراني أرقص؟

أردف حسين متسائلًا:

-ماذا بك؟ لماذا أنتِ نائمة الآن على غير العادة؟

ردت سميحة بصوت منهك ومتعب جدًّا:

- إني متعبة جدًّا... كنت أشعر بالدوار طوال اليوم، وقد أفرغت ما بمعدتي.. يبدو أن السجق الذي اشتريته كان نوعه سيئ.. لا تشتري من ذاك الجزار مرة أخرى.

لم تكمل سميحة كلامها إلا وفرت مسرعةً إلى الحمام لتفرغ ما بمعدتها.

أووووووع.. لم ينزل من معدتها في هذه المرة إلا عصارة خضراء.

توتر حسين ونادى في قلق:

- ماذا بكِ يا سميحة؟

- أنا بخير.. اخلد أنت إلى النوم وأنا سوف أكون بخير.

*حسين ناوبته الظنون والشكوك تجاه تلك الأعراض التي ظهرت على سميحة، تمتم مع نفسه قائلا: "أنا أعرف هذه الأعراض جيدًا.. قد تكون أعراض حمل... متأكد أنها ليست من السجق لأني أكلته معها ولم يصِبْني شيء.

*تشتت حسين وأمسك رأسه قائلا: "ما هذه المصيبة التي حلت علي... إني أريد التخلص منها وحدها... لا أريد شيئًا يربطني بها.... يا رب ظنوني تكون خطأ.. ويكون السجق هو السبب ليس أنا".

*مرت ليله عصيبة على حسين لأنه لم يتمكن من النوم بسبب استيقاظ سميحة المتكرر طوال الليل.. وصوت الباب "طخخخ"، وصوت القيء "أووووع" وصوت الماء وصوت السيفون "تششششش".

*في الصباح لم يجد حسين تحسنًا في حاله سميحة.. فلم يجدِ دواء المعدة نفعًا معها... حسين لم يقتنع بتاتًا في يومٍ بالأدوية.. رأيه في الأدوية أنها لا تجدي نفعًا. ولكن عندما تدهور بها الأمر قرر أن يأخذها إلى المستشفى لمعرفة السبب.

***في المستشفى بعد إجراء الفحوصات اللازمة.**

خرجت الطبيبة وعلى وجهها ابتسامة متصنعة سمجة -هكذا كان يراها حسين لأنه كان يعلم جيدًا الخبر وراء هذه الابتسامة- وأردفت قائلة:

-مبروك المدام حامل.

وقع الخبر على مسمع حسين مثل الصاعقة.. ذلك الخبر الذي لم يكن يود سماعه. خلف هذا الخبر نظرة مبهمة من حسين... لم تفهم سميحة ولا الطبيبة كنهها.

هل هو مصدوم، أم حزين، أم أنه يتظاهر بالصدمة من فرط السعادة والفرحة؟ ولكن الحقيقة أنه كان مصدومًا لأنه شعر أنه حكم عليه بالسجن الأبدي مع البومة سميحة.

*بينما سميحة لم تكن حزينة.. على العكس تمامًا كانت سعيدة بالفعل.

في هذه اللحظة رأى سميحة البومة ولأول مرة تبتسم، لم تكن سميحة سعيدة لأنها سوف تنجب طفلًا من حسين نفسه، بل إنها سعيدة لكونها سوف تكون أمًّا، ذلك الشعور الفطري الذي فطرت عليه كل النساء، فطرة حب الأمومة.

*أخذ حسين سميحة وركبا السيارة.. وظل يفكر كثيرًا وهو يقود.

كان يفكر في الحكمة من وراء ما حدث.. بعد التفكير الكثير اقتنع أن هذه إرادة الله وحكمته. لا مفر مما كتبه الله لنا.

وتذكر قول صديقه محمد: (إن الراحة في الآخرة يا عزيزي وما دمت في الدنيا فلتصبر على ابتلائها).

تمتم حسين بصوت عالٍ وهو يتذكر كلام صديقه وهو شارد الذهن:

-هذا ابتلاء، عليّ أن أصبر.

سمع صوت سميحة وهي تسأله في حنق وغضب وغيظ:

-ماذا تقول؟

رد عليها حسين في ضجر:

-أقول إن الزحام كثير ويجب أن أمر.. كما تعلمين فإن لدي الكثير من العمل اليوم.

*رجعت سميحة إلى البيت لكي تنعم ببعض الراحة من بعد تلك الليلة المتعبة.

بينما حسين فقد ذهب إلى عمله الذي تأخر عليه.

*ظلت سميحة ممددة على الفراش، واضعة يدها على بطنها وتنظر إلى السقف وهي تفكر في مولودها الأول.. كانت تتمنى أن يكون أول مولود لها ولدًا وأن تسميه "سمير".

* لا أدري لماذا تفعل ذلك بعض الفتيات بأن يقمن بتسمية أولادهن بأسماء أحبائهن أو من جرحوهن وكسروا قلوبهن.. كأنهن يردن أن يتذكرن الدرس ويشعرن بتلك الصفعة والطعنة في كل مرة ينادين فيها أطفالهن.

*مرت الشهور وحان موعد الولادة... وأنجبت فتاةً جميلة. وهي كانت متفقة مع حسين بعد ما طلب منها بأن أول مولود سوف يكون اسمه "نور" سواء كان ذكرًا أم أنثى.

سمى حسين ابنته الجميلة نور وهي بالفعل كانت تنير له حياته وتهون عليه ما يمر به بمجرد أن يراها أو يسمع ضحكتها البريئة.

*مرت الأعوام وكلما مر الوقت كانت الخلافات تتزايد أكثر.

فكر حسين -بعد أن شعر بأن الأمر لم يعد يطاق، وهو لم يعد قادرًا على التعايش مع سميحة- في الطلاق من جديد لأن الحياة معها بالفعل أشبه بالجحيم. ولكن في كل مرة يتراجع عن قراره بسبب ابنته نور.

لم يكن يرضيه أن تكبر ابنته في أسرة غير مكتملة، يكون لها أب من دون أم أو العكس صحيح.

*مرت أعوام وكبرت نور فأصبحت مدركة لما يحدث حولها. لذلك كان حسين يتجنب المشاكل تمامًا مع سميحة.. كان كلما رآها تبدأ في الغضب لا يترك لها مجالًا للخلاف وللصراخ، بل كان يتجاهلها تمامًا، حتى لا تتأثر نور بالسلب في شخصيتها بسبب تلك المشاحنات التي تفتعلها سميحة.

*كانت أغلب المشاكل بين حسين وسميحة ليس لسوء التفاهم بينهما كالعادة، ولكن طرأ عليهما أمر جديد زاد الأمور سوءًا وتعقيدًا بينهما.. ألا وهو أن سميحة لم تنجب بعد نور... وأهل حسين يطلبون منه الزواج بأخرى لكي تنجب له ولدًا، وكان حسين يرفض في كل مرة.. وذلك ليس مرضاة لسميحة

أبدًا... بل لأنه سئم من أن يرضي أهله مرة أخرى.. لا يريد أن يكرر الخطأ من جديد.. وذلك لأن سميحة عقدته بالفعل في صنف النساء تمامًا.. نهى الخلاف مع أهله وأوضح رغبته بأنه مكتفٍ بابنته نور، وأنه لا يفرق بين ذكر وأنثى.

*مرت الأيام وشاء القدر أن تنجب سميحة ولدًا... وتحققت أمنيتها بأن يكون لها ولد.. وبالفعل أسمته "سمير".

بعد أن أنجبت "سمير" تغير الحال تمامًا؛ أصبح حسين لا يتفاعل معها في المشاكل حتى ولو بالقليل. أصبح مجهدً ومتعبًا جدًّا، يسمع كلامها ولا يرد... ليس مخافة منها، ولكن لأنه لم يعد له طاقة للحوار معها. صار وجهه شاحبًا جدًّا، شهيته ضعيفة، يتقيأ كثيرًا، والكثير من أعراض الإعياء.

ظل حسين يتردد على عيادة طبيب صديقه لكي يتابع حالته... إلى أن اكتشف أنه مصاب بسرطان في الكبد.

لم يخبر حسين زوجته سميحة بحالته.. إلى أن جاء يوم وشكت سميحة في حالته وبحثت في حقيبته.. فوجدت الكثير من أوراق الكشوفات والفحوصات والتحاليل والإشاعات التي قام بها.

صدمت سميحة وقالت: كل هذا وأنا لا أعلم...

*مرض حسين جعل سميحة تتغير ١٨٠ درجة معه... ليس رأفة منها.. ولكنها خمنت بعد ما رأته في تلك الأوراق أن موعد حريتها قد اقترب.

اقترب اليوم الذي تمنته كثيرًا... لذلك قررت أن تكون بجانبه وتحنو عليه في آخر أيامه، على أمل ألا يطول مرضه وسوف يموت قريبًا بسبب ذاك المرض

الخطير.

*لم يدُم مرض حسين كثيرًا... ظلت معاناته مع المرض لمدة سنة فقط.. ثم توفاه الله.

*على الرغم من أن سميحة كانت تتمنى هذا اليوم.. ولكن خبر وفاة حسين كان بالنسبة لها مثل الصاعقة وصدمة كبيرة لها.. هي لم تكن متوقعة أنها سوف تحزن على فراقه لهذه الدرجة. قد تكون حزينة لأنها لن تجد من تفرغ فيه غضبها وعصبيتها بعدما رحل حسين. ولكن في النهاية هي حزينة على فراقه بالفعل.

وفي النهاية أهلها يرمون عليها اللوم كله على عاتقها بأنها السبب، ولكن هي تشعر بالفعل أنها تغيرت معه في النهاية وأنها أصبحت حنونة معه ولم تتركه لحظة، وهذا ما جعلها تتعلق به، وأن موت حسين كسرها برغم قوتها.

*لم تتحمل سميحة عتاب أهلها ولومهم كثيرًا، لذلك قررت أن ترحل وأن تعود إلى الإسكندرية مع أولادها، وقررت أن لا تسامح أهلها الذين يشكون بها ويتهمونها بأنها السبب في موت حسين.

★★★

(الفصل الثاني)

*لم تكن سميحة امرأة ذكية، لم تقم بافتتاح مشروع بالمال الذي تركه لها زوجها بل كانت تعتمد في معيشتها على معاش زوجها والمال الذي في البنك كي تدير بيتها. كانت تحب أولادها حبًّا جمًّا فعلمتهم في مدارس لغات واهتمت بكل احتياجاتهم.

ولكن كانت تتدخل كثيرًا في حياة أولادها لم تترك لهم مساحتهم الخاصة في حياتهم كي يختاروا أو يحبوا. هي كانت تريدهم لها فقط وأن تختار لهم فقط.

كبرت نور وتخرجت في الجامعة، لم تترك لنور المساحة الكافية كي تختلط بأحد أو أن تحب. وإذا ظهرت على نور ملامح الحب أو الإعجاب أو أنها تسرح قليلًا أو تفكر، كانت أمها سميحة تفتعل لها المشاكل.

سميحة من وجهة نظرها أنها لم تكن أمًّا سيئة للغاية أو سريعة الغضب والعصبية من دون أي سبب؛ هي كانت تفسر تدخلها الكبير في حياة أبنائها بسبب خوفها الكبير من سوء اختياراتهم.

يمر العمر ويزيد عمر نور حتى وصلت بداية الثلاثين وهي دون زواج. وقد ضاعت منها مرحلة الحب في المراهقة والشباب مثل بقية الفتيات. ولكن مع مرور الوقت كانت نور يأتي لها مَن يطلب يدها من كان متزوجًا ومطلقًا حاليا أو من هو متزوج ومعه أولاد.

كانت نفسية نور مدمرة تمامًا وقالت لأمها إنها السبب في وصولها إلى هذا العمر دون زواج حيث قللت لها الفرص وإن من يأتون إليها سيئون للغاية.

قالت لها أمها سميحة:

_ لا أحد يأخذ نصيب أحد، ونصيبك لن يتأخر عليكِ يومًا، بل سوف يأتي في الموعد المكتوب لكِ. وأن تكوني بلا زواج أفضل بكثير من أن تعيشي مع رجلٍ لا تشعرين معه أو تجاهه بأي مشاعر.

نامت نور وهي تبكي كالعادة على حظها وعلى طبع أمها الصارم وتدخلها الشديد في حياتها ومنعها من أن تُمارس حياتها ومشاعرها مثل غيرها. (ولكن تدخل أمها ذلك سوف يعود عليها بالإيجاب فيما بعد).

في يومٍ من الأيام تعرفت نور على زميلٍ لها في العمل اسمه أحمد، كان رجلًا في الأربعين من العمر وكان أصلع تمامًا وله "كرش" بسيط وليس بطويل ولا قصير وأفلج الأسنان، كانت ملامحه تميل إلى القبح ولكن كان طيبًا وحسن التصرف مع نور.

في يوم أفصح عن مشاعره لنور، ولكن نور لم تستطع أن تبادله مشاعرها أيضًا، ليس لقبح شكله أبدًا، بل بالعكس كانت تنظر إلى قلبه ولكنها كانت خائفة من أمها؛ لقد جعلت سميحة عقدة بداخل ابنتها نور من أن ينبض قلبها تجاه شخص ما كي لا يظهر عليها وتحدث الكثير من المشاكل بينها وبين أمها.

قالت نور لأحمد:

- أنا لا أستطيع أن أرد على مشاعرك فقد نشأت في أسرة ترفض الحب

تمامًا والانسياق وراء العاطفة، والقرار في مثل هذه الأمور يرجع لأمي، وأنا لا أستطيع أن أقرر شيئًا دون الرجوع إليها.

بالرغم من أن هذا طبع سيئ -وهو عدم الاعتماد على الذات والاعتماد الكلي على أحد الوالدين حتى في مثل سن نور- ولكن هذا الأمر جعل نور تزداد في نظر أحمد.

فمهما كان في النهاية أحمد رجل شرقي يحب تلك العقد في الفتاة المهذبة المحترمة التي لم تعرف أحدًا قبله حتى سنها هذا. وهذا أمر نادرٌ جدًّا وهو سعيد جدًّا أن حصل على هذه النادرة التي لم يدق قلبها لأحدٍ قبله.

لم يفكر أحمد كثيرًا وقرر سريعًا بأنه يريد أن يقابل أم نور لكي يطلبها للزواج.

ظل أحمد طوال الليل يفكر في نور فهي بنت جميلة في بداية الثلاثين، قصيرة إلى حد ما، وقمحية البشرة، لها ابتسامة مكسورة تبعث بالكثير من الألم والكبت.

ظل يتذكر أعينها الواسعة الجميلة التي تملأها لمعة كأنها سوف تدمع.

ظل يفكر كم هو يحب براءتها وهدوءها.

في صباح اليوم التالي في الشركة.

أحمد: صباح الخير يا نور.

نور: صباح النور يا أستاذ أحمد.

أحمد: لا يوجد داعٍ أن تقولي لي يا أستاذ أحمد بعد اليوم.

نور: نعم! كيف هذا؟ بيني وبينك احترام متبادل ولا يوجد داعٍ لإزالة الألقاب بيننا.

أحمد: نور، أنا أريد أن أعترف لكِ بشيء.

نور: لا داعي أن تقول لي.

أحمد: إذًا أنا أريد أن أقابل والدتك لكي أعترف لها بذاك الشيء الذي في قلبي... ما رأيك؟

نور والفرحة في عينها وتلك اللمعة في عيونها التي تزداد وهي تحاول أن تتمالك نفسها وتقول في خجل: لن أستطيع أن أقول لأمي هذا الخبر ولن أستطيع أن أريها وجهي لأنها سوف تشعر أن هناك شيئًا ما، ولكني يمكنني أن أعطي لك رقم أمي وأن تقول لها الموضوع وتحدد معها الموعد ولا تقول لها أني تحدثت معك أو أني أعطيتك الرقم قل إنك أخذت الرقم من سلمى صديقتنا في الشركة؛ إن أمي حازمة جدًّا وتسأل الكثير من الأسئلة.

أخذ أحمد الرقم واتصل بالأستاذة سميحة.

أحمد: ألو، أستاذة سميحة؟

سميحة بصوتٍ به غضب وعصبية كالعادة ولمسة من التكبر: ألو، نعم أنا سميحة، من معي؟

أحمد: أنا أحمد زميل نور في العمل وأريد أن أطلب من حضرتك تحديد موعد لكي أقابلك كي أطلب منكِ يد نور وأشرح لكِ التفاصيل.

سميحة: وهل نور تعرف هذا الموضوع وأنك تريد أن تطلبها...؟

أحمد: لا أبدًا، نور فتاة محترمة كثيرًا وليس لها علاقة بأحد ولكني سألت صديقتها سلمى عليها ومدحتها كثيرًا لي وأخذت رقم حضرتك لتحديد الموعد. أنا رجل من أصل صعيدي لا أحب اللعب ببنات الناس وأريد ارتباطًا رسميًّا.

قالت سميحة بتلك النبرة المتكبرة كالعادة:

-سوف يكون الموعد يوم الخميس القادم الساعة السابعة.

بعدما أغلق أحمد المكالمة قال وهو يطير فرحًا: "لا أدري لمَ الناس يحددون ذلك اليوم لمقابلة العريس الذي سوف يتقدم لابنتهم؟ لمَ يوم الخميس بالذات؟ ولمَ الساعة السابعة تمامًا؟ لا أدري ولكن لا يهم المهم الاستعداد لهذا اليوم.

في مساء ذات اليوم دخلت الأم سميحة على بنتها نور وفتحت معها الموضوع، بالطبع هي لا تسألها عن رأيها لأن الرأي رأيها في الأول والآخر ولكن هي تقوم بتحقيق لكي تتأكد من صدق كلام ذلك المدعو أحمد، ولكنها بالفعل وجدت في عيني بنتها أنها لا تحبه أو أنها متعلقة به وقد يكون لقبح شكل أحمد وصلعته اللامعة دور في ذلك بأنها لا تعجب به أو يظهر عليها أي علامة من

علامات الإعجاب والتوتر أمام أمها.

قالت لها أمها إنها وافقت على تحديد موعد، فقالت لها نور: "الأمر يرجع إليكِ يا أمي ولكن فكري جيدًا هذه المرة فالقطار هذه المرة لن يفوتني بل سوف يدهسني ويهشم ما تبقي مني من روح وأنتِ رأيتِ من قاموا بطلبي هذه السنة لا تضيعي فرصة قد تكون لي الأخيرة.

نظرت لها أمها في حزم وأردفت:

- قلت لكِ مرارًا وتكرارًا نصيبك لن يأخذه أحد ولن يتأخر عليكِ وسوف يأتي في اليوم الذي كتبه الله لكِ.

جاء اليوم الموعود، اليوم الخميس والساعة السادسة ونور مستعدة ولكن الأم ببرود أعصاب تنظر لابنتها تريد أن تلمح لابنتها أي تلهف على هذا العريس ولكن نور كانت متمالكة أعصابها كي لا يظهر لهفتها على وصول العريس، ليس لأنها تحبه أو حتى معجبة به، ولكن هي بالفعل ملت من هذه الحياة التي تعيشها مع أمها التي تقيد حركتها بنظراتها التي تلاحقها وتدخلها في أمور حياتها كلها.

دخلت نور لأخيها سمير الانطوائي وقالت له:

- سمير، هيا عليك أن ترتب نفسك كي تقابل العريس فأنت رجل العائلة.

سمير: حاضر سوف أجهز حالًا يا أختي يا حبيبتي.

كان سمير كثير التعلق بأخته وكانا يشكيان التعب النفسي الذي سببته لهما أمهما بسبب الكبت وكثرة الغضب عليهما والتدخل في حياتهما المبالغ فيه. وبين سمير ونور الكثير من الأسرار الذي سوف نعرفها فيما بعد.

صوت الساعة السابعة وصوت الجرس في آن واحد.

نور تقول في سرها: "يا له من أحمق؛ أكيد كان ينتظر على السلم حتى أتت الساعة السابعة مساء".

ضحكت نور وقالت في سرها: "مرحبًا بك يا أحمد في هذا السجن الذي بدأت تخاف منه وتتبع قوانينه قبل أن تدخله".

قامت نور لكي تفتح الباب، نظرت إليها أمها نظرة شر وغضب جعلت من نور تتسمر مكانها لا تستطيع الحراك وأمرتها بالدخول إلى غرفتها، ونظرت نظرة لسمير معناها أن يهم بالنهوض وفتح الباب.

فتح سمير الباب ووجدت أمامه ذلك العريس المنتظر الذي يقف أمام الباب وصلعته ناصعة جدًّا كانت تلمع كثيرًا نظرًا لأنه يقف تحت المصباح مباشرةً وكان بيده علبة الحلويات والكعكة.

نظر له سمير بابتسامة، لم تكن ابتسامة ترحيب ولكن ابتسامة سخرية من شكل عريس أخته الذي كان الخجل والتوتر يرسم على وجهه شيئًا من البلاهة بالإضافة إلى شكله.

طلب منه سمير الدخول فدخل أحمد وقلبه ينبض كثيرًا بل كان يتراقص من شدة الفرحة والخوف في آن واحد.

عندما دخل أحمد لم تكن الأستاذة سميحة واقفة لكي تستقبله بل كانت جالسة على كرسيها المميز الذي يشعرها بأنها على كرسي عرشها، وتضع ساقًا على ساق وتنظر له نظرة كلها تكبر وتتفحص كل شيء به من شكله وتصرفاته.

كان سمير ينظر إلى أمه ويسأل نفسه: "لماذا كل هذا التكبر يا أمي بالرغم أن مستوانا الاجتماعي متوسط وليس عاليًا كي يجبرها على التكبر مع أنه هناك في بعض الأحيان أشخاصًا مستواهم المادي عالٍ ولكنهم متواضعون.

يقول سمير في نفسه -وقد اعتاد هو ونور أن يقولا ما بداخلهما لبعضهما أو في سرهما-: "لم تأتِ لهما الفرصة لمواجهة أمهما والتحدث عما يدور بداخلهما كل ما عليهما فقط تنفيذ الأوامر وكفى".

نظر سمير إلى أحمد ورحب به ومن ثم بدأ الحديث والاتفاق وطلب أحمد أن يكون الزواج قريبًا، بعد ستة أشهر فقط، ولكن الأم قالت:

- أريد مدة الخطوبة لا تقل عن سنة ونصف كي تدرسا بعضًا جيدًا وفي حالة عدم التفاهم فيحدث انفصال في مدة الخطوبة أفضل.

أحمد في سره يقول: "لم أرَ في حياتي أمًّا تريد مدة الخطوبة تطول أكثر وأن عمر بنتها يمر أمام عينها مثل تلك المرأة".

تعجب أحمد في قرارة نفسه يقول: "مَن هي الأم التي تقول أو تتمنى أن يحدث انفصال في فترة الخطوبة بدلًا من أن تقول خير البر عاجله وربي يتمم لكما كل خير ويبعد عنكما الشر؟ يا لها من امرأة غريبة ولكن سوف أوافق لأني لن أجد بنتًا مثل نور فتاة خام لا تدري الكثير عن الدنيا بالرغم من كبر سنها".

قالت سميحة: سوف يكون لك مقابلة واحدة لنور مرة كل شهر وسوف تكون المقابلة يوم الخميس الساعة السابعة.

وتقول هذا الكلام لأحمد في حنق ونظرة احتقار له رهيبة وكأنها حددت هذه المقابلة ليس لنور بل لها هي كي تختبر صفات أحمد وهل سوف يتغير مع الوقت وتختبر صبره وشخصيته التي يمكن أن تتغير مع الوقت.

وافق أحمد على جميع شروطها ولم تكن المقابلة مرة واحدة في الشهر تشكل له عائقًا لأنه سوف يرى "نور" يوميًّا في العمل، وسوف يتحدث معها حتى يأتي اليوم المشؤوم الخميس من آخر الشهر كي يقابل أمها ويكمل بقية التحقيق معها. كأنها تحاول بكل الطرق أن تتدخل في حياتهما كي ينسحب ويرحل لأنه لا يوجد أحد يقبل أن يشعر بأن أحدًا يتحكم به لهذه الدرجة ولكن أحمد يتحمل من أجل نور حتى مضت مدة الخطوبة وتزوجت نور وأحمد.

كان الزفاف بسيطًا جدًّا في بيت نور، اكتفوا بالمأذون وكتب الكتاب نظرًا لأن الأستاذة سميحة كانت امرأة صعبة جدًّا في التعامل حتى إنها كانت مقاطعة إخوتها لا تتحدث معهم.

وأحمد رجل من الصعيد وهو أصغر أخوته، وأمه وأبوه متوفيان، وأخوته شعروا بصعوبة الذهاب إلى زفافه من الصعيد إلى الإسكندرية وأيضًا لانشغالهم بأمور حياتهم وأولادهم وهم اعتادوا أيضًا على غياب أخيهم أحمد؛ لم تكن علاقتهم به قوية إلا أخاه الكبير الذي بمثابة أبيه هو من حضر ذلك الزواج الكئيب الذي يفتقر لكل أساليب الفرحة والبهجة يكفي نظرة هذه المرأة

سميحة البومة الكئيبة التي لا تفعل شيئًا سوى احتقار وازدراء من تراه.

مر ذلك اليوم الكئيب ولكن نور شعرت ولأول مرة أنها تتنفس، شعرت بحرية أنها تريد أن تجري وتلعب وتضحك، أن تجعل السنين التي مضت من عمرها تعود من جديد وأن تعيشها مرة أخرى.

نظرت نور إلى أحمد وقالت: إني أريد أن أعترف لك بشيء يا أحمد.

أحمد: ما هو ذاك الشيء يا نور؟

يقول ذلك وهو ينظر إلى عينيها الدامعتين بفرحة وهو يعلم ما سوف تقوله له.

نور: أنا أحبك يا أحمد، أشعر بأني مثل الأميرة التي كانت مسجونة في برج في قلعة مهجورة حتى يأتي لها الفارس الشجاع ويمر بمعركة قوية مع ذلك التنين الضخم ومن ثم ينقذها من حبسها.

قال أحمد وهو يضحك: أنا الفارس وأمك التنين الضخم الغاضب الذي يفتح فمه يحرق من أمامه.

ضحكت نور وقالت: لا تقل هذا على أمي، هي قاسية جدًّا ولكن برغم الذي فعلته بي أشعر بأني أحبها بالرغم من قسوتها، لأنها أضاعت شبابها من أجلي أنا وأخي.

قال أحمد: لا ليس لهذا الأمر فقط بل لأنها تكره البشر عامةً والرجال خاصةً فلم ترغب في أن تكرر تجربة أخرى.

نور: دعك من الحديث عن أمي قليلًا أنا ما صدقت أني خرجت من السجن فتحدثني عن السجان من جديد؟

أحمد: سوف أعوضك عن كل ما فاتك وسوف أجعلك تعيشين سنين حياتك الماضية من جديد ولن تعرفي سوى معنى السعادة معي.

وبالفعل كان أحمد رجلًا بمعنى الكلمة بالرغم من قبح شكله إلا أن نور أصبحت تراه أجمل رجل في الحياة لجمال روحه وعذوبة كلامه.

تتذكر حديث الرسول محمد ﷺ عندما سئل: ما جمال الرجل يا رسول الله؟ قال: جمال الرجل لسانه.

وبالفعل أحمد كان جميل الروح واللسان وعذب الكلام وكان صعيديًّا بمعنى الكلمة بأن الرجل بكلمته وكان رجلًا معها وأوفى بوعوده معها وبالفعل عوضها عما فاتها.

ومرت أعوام وأنجبت نور ولدين: معاذ ومعتز، اعتمدت في حياتها أن ولديها عندما يكبران أن تترك لهما مساحة لحياتهما الخاصة وحرية الاختيار.

★★★

(الفصل الثالث)

***في عام ٢٠١٧ في السابع من ديسمبر في الذكرى السابعة والعشرين لوفاة الأستاذ حسين والد سمير ونور.**

سمير: نور، علينا أن نفاتح أمي لكي تذهب هذه المرة لزيارة قبر أبي ولكي نصلح بينها وبين أخواتها وأهل زوجها؛ يكفي مشاكل إلى هذا الحد.

نور: عندك حق يا سمير، سوف نحاول مثل كل سنة ويجب أن تقتنع أمي هذه المرة بالصلح نظرًا لكبر سنها وكبر سن أهلها يجب أن يفضوا كل هذه النزعات والمشاكل التي استمرت طويلًا وأن يسامحوا بعضهم بعضًا.

سمير يقول لأمه: أمي، نريد أن نذهب إلى القرية من أجل زيارة قبر أبي وأهلنا.

سميحة الأم: لا داعي لزيارة القبر بإمكانكم قراءة القرآن له والدعاء له، لا داعي للسفر.

نور: ولكن يا أمي نريد أن نصل الرحم وأن نحل كل هذه المشاكل التي دامت طويلًا دون أي سبب يذكر.

سمير: يا أمي عليكِ أن تبدئي أنتِ بالكلام فأنتِ أصغر إخوتك، وإخوتك ليس عندهم مانع للصلح، ولكن عليكِ أن تبدئي أنت أولًا الكلام لأنك من هجرتهم دون أي سبب.

سميحة الأم: لا أحتاج لأحد، أنا مكتفية بكما ولا أريد الصلح مع إخوتي الذين اتفقوا مع أولاد عمي -أخوات زوجها- بأنني أنا السبب في وفاة زوجي.

نور: يا أمي هذا الموقف مر عليه سبع وعشرون سنة، لا داعي للمشاكل وعلينا أن نحلها واعلمي أن خالتي عزيزة مريضة جدًّا، عليكِ أن تسامحيها وأن تحلي الخلاف.

سمير: أمي لا تنسي أنكم كبرتم كثيرًا ومر بكم العمر فلا داعي للخلاف.

الأم سميحة بغضب: هل تريدني أن أموت؟ هل هذا ما تقصده؟

سمير وهو يقبل رأس أمه: ربي يطول لنا في عمرك يا أمي الغالية لم أقصد هذا أبدًا بل أقصد أن خالتي فقط مريضة فسامحيها وابدئي الكلام.

الأم سميحة: لن أتكلم مع أحد.

ونظرت بتكبر رهيب وغرور لهما وهي ترفض أمر الصلح وقالت لهما:

- إذا كُنتُما تريدان الذهاب فاذهبا لمن اتهموا أمكما وقهروها بكلامهم الجارح.

سمير ونور في آنٍ واحد: لن نذهب يا أمي مثل كل سنة ولن نتكلم مع أحد.

كانت الأم سميحة تهدد أولادها ولكن في النهاية يفعلون ما يرضيها هي فقط ولا يستطيعون فعل أي شيء سوى رضاها. منذ الصغر وهي تهددهم إن لم تفعلوا ذلك سوف أتعب وأنا مريضة ضغط وأفقد الوعي عندما أحزن وقد أتعرض لجلطة هل يرضيكم؟

فاعتادوا أن يرضوها فقط خوفًا أن تمرض نظرًا لأنها هي من لهم في الدنيا وهي من أفنت حياتها من أجلهم.

بالرغم من قسوتها بالفعل فقد كانوا يحبونها جدًّا ومتعلقين بها بالرغم القيود التي تربطهم بها.

طبعا وعدوها بعدم الذهاب لزيارة قبر الأب أو زيارة أهلهم وعدم الاتصال حتى بأهلهم. ولكن في الحقيقة هم كانوا على وصال بأهلهم ويتحدثون معهم على الهاتف ولكن لم يجرؤا في يوم أن يقولوا هذا لأمهم.

اتصل سمير بخالته المريضة -خالته عزيزة-:

-ألو، خالتي عزيزة.... ألف سلامة عليكِ

الخالة عزيزة: أهلًا بابن الغالي.. الله يسلمك يا ولدي.

سمير: خالتي أريدك أن لا تحزني من أمي، إنها تحبكم كثيرًا ولكن كبرياؤها تمنعها من التكلم.

الخالة عزيزة: ولا يهمك يا ولدي... هي أختي ونحن نعرف طبعها جيدًا هي تكره الحقيقة.. وسَمِعتْ كلامك أنت ونور ومن أجل خاطر المرحوم حسين اتصلت بها منذ خمس سنوات على أمل إنهاء هذا الخلاف الذي نجم من قول الحقيقة لها ولكن هي ردت عليّ بفتور ولم تكرر الاتصال من جديد.. الظاهر أنها لا ترغب في الصلح بتاتًا.

سمير: ولكنها لا تحمل ضغينة تجاهكم ولكن كبرياؤها تمنعها من التحدث مع شخصٍ شعرت منه بالجرح في يوم.. كبرياؤها تمنعها من الرجوع إلى مكان شعرت به باللوم والعتاب على أمر من وجهة نظرها أنها لم تكن السبب به بل كان قضاءً وقدرًا.

الخالة عزيزة: لا تحاول يا ولدي لن نتحدث معها مرة أخرى... لأنها لا ترغب في ذلك.. ومنذ متى الكبير يتنازل للصغير؟! وبالفعل تنازلت من أجلكما.. ولكن أطمئنك يا ولدي إنني لست غاضبة منها وإني أسامحها فمهما كان فهي أختي الصغيرة. وبقية إخوتي وأولاد عمي جميعنا سامحناها وإذا في يوم رغبت أن تكلمنا أو تحتاجنا فنحن هنا معها في أي وقت.

سمير: شكرًا لكِ يا خالتي عزيزة، وسوف أطمئن على صحتك من حين لآخر... في حفظ الله.

***

أكمل سمير بقية اتصالاته كالعادة هو ونور لأهلهما ولكن دون علم أمهما كي لا تحزن منهما. سمير يقول في نفسه: "ماذا استفادت أمي من أن تمنعنا من أمور بالنسبة لبقية البشر هي أمور عادية. ولمَ ترغمني على أن أفعل ما أريد ولكن دون علمها وتجبرني على أن أكذب عليها.

***

مر شهران على ذكرى وفاة الأب... في شهر فبراير ٢٠١٧

سمير أخذ ملفًا به السيرة الذاتية الخاصة به الذي لا يحتوي إلا على ورقة به بياناته وخبراته السابقة في العمل.

الآن سمير يتصل بأخته نور قبل المقابلة ويتحدث معها كالعادة فهي المقربة لديه الذي تعرف عنه كل شيء وتعلم كل أسراره الذي لم يجرؤ في مرة أن يصارح أمه بها كي لا تحزن منه فتمرض ولا ترضى عليه لأنه لم ينفذ مبتغاها..

سمير: ألو.. نور!

نور: أهلًا سمير... طمني ماذا فعلت في المقابلة؟

سمير: لم أدخل بعد...يا نور أريد أن أصارح أمي بما أخبئه عليها طوال هذه السنين.. لأني تعبت كثيرًا من كثرة الكذب عليها في كل مرة أراها فيها.

نور: هل جننت؟ هل تريد أن تصارحها بعد ثمانية أعوام... سوف تغضب كثيرًا. وقد تتعرض لصدمة ولن ترضي عنك أبدًا، لا تفعل ذلك وتصارحها... أكمل فيما بدأت به.. حتى لا تخسر أمك... وأنت تعلم أمك جيدًا تكبر أبسط الأمور... ولا يهمها أحد.. وعادي عندها أن تخسرك لمجرد عدم تنفيذ أوامرها.

سمير: كم تمنيت أن أكون مثلك يا نور أن لو استطعت أن أنفذ أوامر أمي ولم أكذب عليها وأخدعها.

نور: أنا بنت وأسمع الكلام وهذه طبيعة في هذا المجتمع الشرقي -أغلب البنات ليس بوسعهن غير تنفيذ أوامر الأهل فقط للحصول على رضاهم – في حين أنك رجل وأغلب الرجال في هذا المجتمع الشرقي يرفض أن ينفذ جميع الأوامر التي يتلاقاها من أحد.

(هذه طبيعة بشرية وهذا ما حدث معك يا سمير).

سمير: أنا نفذت كلامها حتى الثانوي وتفوقت ونجحت بالمجموع الذي طلبته مني ولكني لم أحب في يومٍ أن أكون مهندسًا.. لذلك خرجت من الجامعة ولم أكمل. لقد حاولت مرارًا وتكرارًا أن أقنعها أني لا أحب هذا القسم وأني أريد أن ألتحقَ بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية التي أحبها والتي أتقنها جيدًا نظرًا لدراستي من البداية بهذه اللغة. لم تقتنع أمي برغبتي وجعلتني أدخل ما اختارته لي في النهاية ماذا كسبت؟! بالطبع لم أكسب شيئًا يا نور سوى أني دخلت هذه الكلية ورسبت في العام الأول منه مرتين ومن ثم قررت بأني لن أكمل... وأنا أكذب عليها بأني ما زلت أدرس.. والكذبة لم تنتهِ بعد.. حتى الآن ما زلت أكذب عليها بكوني مهندسًا... وهذا الأمر ما يجعلها فخورة بي.. وتشعر بالمزيد من الكبر والغرور.. لأنها أمام الناس نجحت في تربيتنا وأوصلتنا إلى أعلى مراتب التعليم... وهذا بمفردها دون أن يساعدها أحد في تربيتنا.

نور: المصيبة أنها ترى أن أي قسمٍ آخر من الأقسام عار علينا إن التحقنا به.. لم تقتنع أمي بأن كل قسم من أقسام الجامعة له أهميته الخاصة ودوره في المجتمع... وأن الشخص عليه أن يدرس ما يحب.. لكي يعمل ما يحب.. ويعكس الفائدة مما يحب على المجتمع... أمي للأسف لم تتعلم ما هو الحب مع الأشياء

أو حتى الحب مع الأشخاص.

سمير: أفكر في أن أصارحها بأني لم أدرس في كلية الهندسة وأني لم أكمل المرحلة الجامعية.. وأني لا أعمل مهندسًا.. بل إني كنت أعمل طوال هذه المدة في إحدى شركات الاتصالات في خدمة العملاء باللغة الإنجليزية.. وإني الآن أريد أن أقدم على عملٍ جديدٍ وأن أكون مدرسَ لغة إنجليزية في إحدى مدارس اللغات.

نور: لا تتهور يا سمير.. أظن أن الوقت غير مناسب.. كان يمكنك أن تصارحها منذ البداية.. بينما الآن لا ينفع... لقد تفاقم الأمر وكثر الكذب... لقد ازداد الوضع سوءًا.. ما عليك سوى نسيان الماضي واتركه خلف ظهرك.. وهيا ادخل وقمْ بالمقابلة ومن ثم اتصل بي.. وأفرحني بخبر قبولك.. لن يجدوا مدرسًا في ذكائك وحسن لغتك.

سمير: شكرًا لكِ يا نور.. يا أجمل وأطيب أخت.. أحبك.

نور: وأنا أيضًا أحبك وأتمنى لكَ أن تفعل فقط ما تحب.

***

دخل سمير المدرسة وهو يبحث عن غرفة المقابلة ينظر يمينه ويساره حتى اصطدم بفتاةٍ كانت تمشي متسرعة وهي تضحك وتنظر لصديقتها.. اصطدم بها واعتذر.. وهذه الفتاة لم تكترث للموقف بل أكملت الضحك مع صديقتها على حماقتها وعدم انتباهها وهي تمشي كالعادة.. ظل سمير ينظر إليها حتى بعد أن رحلت هذه الفتاة.. تعجب من تصرفاتها العفوية الطفولة.. وصوتها العالي

الرفيع ذي الطبع الطفولي بعض الشيء.. وصل الاستقبال وسأل على غرفة المقابلة.

عندما بدأ المقابلة وسأله المدير عن مؤهلاته بدأ سمير الكذب كعادته.. فهو اعتاد الكذب على أمه.. واعتاد في حاله رغبته عدم خسارة أمر ما يبدأ بالكذب.. أنا... أنا.... كنت أدرس في كلية الهندسة ولكني لم أكمل لعدم حبي للقسم الصراحة.. ولكني بدأت في العمل في إحدى شركات الاتصالات المهمة في خدمة العملاء باللغة الإنجليزية... ولدي شهادة خبرة في ذلك.. ولكني حاليا أدرس في كلية التجارة إنجليزي والعام هو آخر عام لي فيها وسوف أتخرج وتكون معي شهادة.

لم يعجبه المدير كل القصة الطويلة وطلب منه أن يبدأ في تقديم نفسه بالإنجليزية وأن يقدم شرحَ درسٍ ما لكي يرى مدى خبرته في التدريس أو في اللغة على الأقل وهذا أهم شيء للالتحاق والعمل بمدارس اللغات... وهذا ما كان يجعل "سمير" مرتاحًا بعض الشي لأنه واثق جدًّا في لغته.. ويعلم أن المدير لن يهتم للقصة التي سردها في الأول.. فلم يكن هناك داعٍ للكذب.. ولكن من اعتاد على شيء أدمنه حتى وإن لم يتطلب الأمر.

بالفعل اجتاز سمير الاختبارات كلها وذلك لتمكنه بالفعل في اللغة الإنجليزية وأنه كان بالفعل ملمًّا بقواعد اللغة أيضًا. ولكن المدير أكد عليه بأن ينتهي هذا العام من دراسته ومن ثم يأتي بالشهادة الجامعية كي يدخل في التأمينات التي توفرها المدرسة للعاملين بها.

اتصل سمير بأخته نور:

- ألو، نور.. لقد تم قبولي في المدرسة وسوف أبدأ في العمل من الغد.

نور: مبارك يا سمير، يا له من خبرٍ جميلٍ.. أنت تستحق كل خير.

رجع سمير إلى البيت وكان سعيدًا جدًّا هو يسعد جدًّا عندما يبدأ ويمارس شيئًا يحبه ولكن عندما فتح الباب وجد أمه وكالعادة عندما يرى أمه يشعر بتوتر وشيء من الخوف... لأنه يعلم أنه يكذب عليها

الأم سميحة: لماذا أتيت باكرًا اليوم على غير عادتك؟

سمير: أحببت أن آخذ عطلة نصف يوم لكي أجلس وأقضي يومًا معكِ وأن أطهو لكِ الطعام مثل ما تُحبين.

الأم سميحة: أريني ماذا سوف تفعل لي.

سمير: سوف أفعل لكِ كل ما تتمنينه فقط.. أنا لا يهمني سواكِ في الدنيا وراحتكِ ورضاكِ.

*في صباح اليوم التالي يستيقظ سمير باكرًا جدًّا على غير عادته الساعة السادسة وهو يتأهب للذهاب للعمل الجديد في المدرسة.... ومن ثم نزل وبدأ دوامه الجديد.

انتهي الطابور واستعاد ذكريات الطفولة بهذه الأصوات، أصوات الأطفال وطابور الصباح والنشيد والمدرسين الذين يصرخون في الأطفال كالعادة وهذا ما يجعل الأطفال يضحكون أكثر ويرتكبون حماقات أكثر.

انتهى من كل ذلك ومن ثم دخل غرفة المدرسين وتعرف سريعًا على أصدقائه الجدد. فوجد من ضمن الموجودين تلك الفتاة التي اصطدم بها بالأمس ولكن حالها مختلف تمامًا عن الأمس.. لا تضحك.. لا تتصرف كالأطفال..

قال سمير في نفسه وهو يفكر: "ماذا حل بها؟ ولماذا هي الوحيدة التي لم ترحب بي؟"، ثم وقف سمير أمام الباب.. فوجد تلك الفتاة تقول له في عصبيه:

- لو سمحت أريد أن أمر.

ومشت بطريقة مضحكة إلى حدٍّ ما... هي طولها متر ونصف وتمشي بغضب وهي ليست بالنحيفة ولا سمينة ولكنها متوسطة الحجم وبيضاء، عيناها واسعة وجاحظتان ولكن ليس من النوع السيئ فقد كانتا جميلتين جدًّا وبريئتين وطفوليتين جدًّا.. مشت مسرعة لكي تصعد الدرج، وهي تصعد على الدرج في غضب اصطدمت في الدرج ووقعت.

ضحك عليها في سره وقال: "يا لها من حمقاء.. مشت بغضب ومسرعة فتعطلت وتعرقلت في السلم، يا إلهي؛ إنها تبكي... إنها بالفعل حمقاء وطفولية.. سأذهب وأساعدها".

- هل يمكن أن أساعدك يا أستاذة...

لين: لا أريد منك شيئًا.. كله منك؛ أنت من كنت تقف أمامي وعصبتني.

سمير جمع معها الكتب وقدم لها عذره.

سمير: أنا آسف.. أعتذر إليك يا أستاذة !!... آه حقًّا... ما اسمك؟!

لين: اسمي زفت الطين.. ليس لدي وقت لقد تأخرت على الحصة.

سمير وهو ينظر إليها وهي تصعد السلم ويقول لها:

-كل هذا الكلام ولم تقولي اسمك.

قالت لين همهمة لم يفهمها سمير.

سمير: يا لها من مجنونة... بالفعل إنها مجنونة... ولكن بها شيء مميز... طفولتها وعفويتها.

ثم عاد إلى غرفة المدرسين وأكمل تعرفه على من تبقى منهم ولم يَحِن موعد حصتهم، لقد اعتاد جدًّا على جو المدرسة.. وشعر أنه يعرفهم منذ زمن.. وذلك لكونهم ودودين للغاية.. سوى تلك المجنونة التي لم يفهم طبعها.

قد غيرته تلك المدرسة بالفعل وخرج من حال الانطوائية وأصبح اجتماعيًّا بعض الشيء وله أصدقاء.

رن الجرس وصعد لكي يبدأ ويعطي أول حصة له... كانت لين خرجت من فصلها وتمشي في الممر نفسه الذي هو به.. نظرت له نظرة ازدراء وتحقير وتركته

سمير يتمتم في سره: "ماذا فعلت لهذه البلهاء كي تنظري إليّ هكذا؟".

انتهي وقت الحصص وجاء وقت الاستراحة.. تجمع مدرسو اللغة الإنجليزية في حجرتهم وأكملوا تعرفهم على الصديق الجديد.. ومن ثم قامت لين كالعادة لكي تعد لنفسها كوبًا من القهوة لأنه كان يومًا ليس جيدًا بالنسبة لها.

وكالعادة يطلب منها الآخرون أن تعد لهم القهوة معها. فطلب سمير أيضًا منها.

نظرت له تلك النظرة، نظرة التحقير ورفضت أن تعد له معها..

فقام سمير وقال: لا أريد منكِ شيئًا سوف أعد الكوب لنفسي.

وعندما مسك "الكاتيل" -آلة تسخين الماء- نظر في يدها فوجد دبلة.

سمير يقول لنفسه: "يا لي من أحمق لم ألاحظ تلك الدبلة... إنها مخطوبة... حتى ولو مخطوبة.. هذا لا يعني لي شيئًا.. أنا لا أعرفها... ولكني على الأقل فهمت لماذا تعاملني هكذا".

حالها مثل أغلب البنات.. عندما تشعر بأنها امتلكت أحد الرجال فهي طبيعة بيولوجية في تكوين المرأة بأنها تكتفي بشيء واحد، رجل واحد وتطمح للاستقرار... وهذا حال أغلب البنات... وليس الكل.. لأن هناك بعضًا من الفتيات يحببن أن يفعلن نظام الجمعيات حتى في الحب... تحب أن تشعر بأنها مرغوبة من عدة رجال في آنٍ واحد... وهذا النوع من النساء أشمئز منه للغاية.. على العكس أن هذا الطبع طبيعة بيولوجية في تكوين الرجل وهو أن يحب أكثر من واحدة في آن واحد.. وأنه يعجب بأغلب من يراهم.. طبيعة كونية.. التي فطر الله الرجال عليها.. لذلك الله حلل التعدد للرجل.. لأنه يعلم جيدًا أن الرجل يمكن أن يحب اثنتين أو أكثر في آن واحد دون أن يقصر في حق الأخرى. لا أقصد جميع الرجال بل أغلبهم.. لا أحب صيغة التعميم.. لأن لكل قاعدة استثناء..

لين: هاااااي.. يا أستاذ، الماء يغلي منذ وقت.. هيا أكمل سريعًا الكوب خاصتك أريد استخدام الكاتيل لكي أعد لأصدقائي..

سمير: حاضر يا أستاذة..

وفي سره يقول: اااخ.. لقد قطعتِ حبل أفكاري.

سمير كان هاتفه صامتًا كل هذه المدة عندما رآه وجد العديد من المكالمات من أمه.. اتصل بها على الفور وهو خائف فهو من عادته ألا يتأخر في الرد عليها ولكن هذا يوم استثنائي وانشغل بالحصص والتعرف على الأصدقاء....

*سمير: ألو.. ماما.

الأم سميحة: أين أنت؟ ولماذا عندما استيقظتُ صباحًا لكي أُوقظك كالعادة لم أجدك؟ أين ذهبت باكرًا؟

سمير: لا تقلقي يا أمي سوف آتي البيت بعد عدة ساعات وسوف أحكي لك عن عملي الجديد.

الأم سميحة: لا تتأخر.

سمير: حاضر يا أمي.

كان سمير في نيته أن يصارح أمه بكل شيء اليوم وأن يحكي لها طبيعة عمله الجديد وأنه يرغب بالتوقف عن الكذب عليها.

*انتهى الدوام وذهب سمير إلى البيت وكان معه كالعادة الطعام الذي يشتريه له ولأمه فهو لا يفعل شيئًا سوى شراء الأكل والطهي له ولأمه فكان سمينًا إلى حد ما..

كان اسمه سمير وهو سمين.

عندما دخل البيت وجد أمه مستلقية على السرير في غرفتها على غير عادتها أنها تكون في غرفة الجلوس تشاهد التلفاز أو تتصفح صفحات الفيس بوك المملة على هاتفها.

كانت الأم سميحة متعبة لقد ارتفع ضغطها بسبب خوفها على ابنها سمير عندما استيقظت ولم تجده والذي زاد الأمر سوءًا أنه لم يرد على اتصالاتها فهذا أتعبها جدًّا نظرًا لكبر سنها.

فهي تحب "سمير" جدًّا فهو بالنسبة لها كل شيء من بعد أن تزوجت نور.. فأصبح سمير هو دنيتها وما فيها.. هو فرحتها وأنيسها في وحدتها.

دخل سمير الغرفة وحزن كثيرًا على تعب أمه ثم قام بإعطائها الدواء... بالرغم من أنها بإمكانها أن تأخذه بمفردها ولكنها تحب اهتمام ابنها بها... لا تحبه أن ينشغل عنها بأي شيء آخر..

قال سمير في نفسه كالعادة -وهو اعتاد أن يقول كل شيء في سره فقد ربته أمه على عدم الجرأة والمواجهة بما يدور في باله-: "يا إلهي لن أستطيع اليوم أن أقول لها الحقيقة.. لو قلت لها الحقيقة فسوف يزداد الأمر سوءًا".

الأم سميحة: أين كنت منذ الصباح؟ ولماذا لم تقل لي إنك سوف تخرج باكرًا؟

سمير: لم أحب أن أقول لك بالأمس لأنك سوف تستيقظين باكرا لكي توقظيني.. وأنا لا أريد أن أتعبك.

الأم سميحة: لا ليس لك شأن براحتي.. والآن جاوبني أين كنت؟ وما هو

ذلك العمل الجديد؟

اضطرب سمير بعض الشي وقال: عمل جديد.. نعم لقد تم تغير المكتب الذي أعمل به وتغيرت معه المواعيد.. أصبحت المواعيد باكرة وأنهي العمل في وقتٍ باكر مما كان سابقًا.

الأم سميحة: ربي يوفقك.. وأرى مكتبك الخاص وتكون أعظم مهندس.

سمير: آمين يا أمي.. ادعي لي بالتوفيق فقط.

وأعد لها الطعام كالعادة وغيّر لها من مزاجها كي تتحسن نفسيتها.. فمريض الضغط يحتاج أن يكون في جو نفسي مريح ويسمع كلمه حلوة وأن يرى ما يرضيه فقط.

مر أسبوع في العمل الجديد في المدرسة وكل يوم أمه توقظه لكي يذهب إلى العمل وكأنه طفلٌ صغير... يا له من رجل أو طفل كبير مدلل.

مع مرور الوقت وإثبات جدارته في التدريس وذكائه ولغته الممتازة.. انهالت عليه اتصالات من أولياء الأمور لكي يدرس لأولادهم في البيت.. أي ما يسمي بالدرس الخصوصي..

سمير بينه وبين نفسه يقول: "هؤلاء الأهالي أغبياء حقا.. يعني ماذا سوف أقوله زيادة عما قلته لأولادهم في الفصل.. ولكن على رأي المثل "اللي معه قرش محيره يجيب الحمام ويطيره".. أخ يا إلهي أصبحت أقول أمثالًا مثل أمي.. عليّ أن أقلل مدة الجلوس معها".

جدول مواعيد سمير كل يوم في ازدياد الآن إلا أن وصل آخر درس له في اليوم إلى الساعة الواحدة صباحًا.

سمير كان متعجبًا جدًّا عندما كان يرفض ويوضح لأولياء الأمور أن ليس لديه وقت في يومه لكي يعطي مزيدًا من الدروس.. فيقترحون عليه أوقاتًا متأخرة جدًّا وأن هذا عادي بالنسبة لهم..

سمير بينه وبين نفسه: "كيف يسهر طفل في هذا السن إلى هذا الوقت المتأخر.. وأنه عندما كان في سن أولئك الأطفال كان ينام من الساعة الثامنة".

وعندما كان يرفض أن يعطي دروسًا نظرًا لضيق وقته، فكان أكثر أولياء الأمور يطلبون منه ويعرضون عليه أن يكون الأجر مضاعفًا له.

سمير يقول في قرارة نفسه:

"يا إلهي كل هذا من أجل التعليم وفي النهاية أولادهم لا يكونون منتبهين للمدرس ولا للدرس.. لأنه من الطبيعي أن أغلب -وليس كل- من يأخذون دروسًا خصوصية في المنزل هم الضعاف في الدراسة.. هذا لا يفيد شيئًا سوى مضيعة الوقت ومضيعة أموال الأهل الذي لا تفرق معهم في شيء.

عندما تأتي لمثل أولئك الأولاد تجده لا يعرف أين وضع كتابه منذ آخر حصة وتجده يلعب في هاتفه أو على "البلايستيشن".. المهم أنه يلعب ويضيع وقته أو ينام... بينما الدراسة لا يعلم عنها شيئًا... والمصيبة الأكبر أنك تجد أولئك الطلاب الحمقى ينجحون كل سنة.. كيف وهم لا يفقهون شيئًا... وذلك لأن أهلهم يدفعون الآلاف، ففي هذه المدارس المدرسة مرغمة ومجبرة على نجاح

أولئك الحمقى بالتأكيد.. وليس كل طلاب المدارس الخاصة حمقي وأغبياء أكيد ولكن البعض.. مثل طلاب المدارس العامة.. ولكن هنا بالواسطة تنجح..

بينما في المدارس العامة إذا كنت تأخذ درسًا في مجموعة مدرس الفصل أيضًا سوف تنجح لأن الامتحان يكون بين يديك... اااخ يا إلهي إنه فساد شامل المنظمة التعليمية كلها".

الآن سمير أكمل جدوله تمامًا حتى الواحدة صباحًا وكل يوم يذهب إلى البيت وهو متعب جدًّا وكل ما به من طاقة قد انتهت.. وكالعادة يأكل كثيرًا وخاصة البطاطس المقلية لا ينساها، وأن يشرب مشروبات غازية... ولا يكترث بالسمنة التي يكتسبها يومًا بعد يوم.

الأم سميحة: لماذا تأخرت إلى هذا الوقت؟ لماذا يزاداد عملك كل يوم أكثر في الوقت.

سمير: اعذريني يا أمي؛ إني أعمل على أكثر من مشروع.. إنني أريد أن أبدأ في أن أحصّل مبلغًا من المال لكي أبدأ مشروعي الخاص بي مثل ما تتمني أنتِ.

الأم سميحة: إن شاء الله يا ابني أراك أنجح مهندس في الكون.

سمير: ممكن يكون المشروع ليس مكتبًا للهندسة العقارية يا أمي قد يكون مشروعًا آخر.

الأم سميحة: لا.. سوف تفتح مكتبًا خاصًّا بك ولا تغير نشاط عملك أبدًا.

سمير: حاضر يا أمي... سوف أنام فلم يتبقَّ لي وقت كثير للنوم وسوف

أستيقظ باكرًا... تصبحي على خير.

الأم سميحة: وأنت من أهل الخير.

وأطفأت النور وذهبت لكي تنام وتتأهب للاستيقاظ باكرًا مع ابنها.

*بعد مرور شهر من العمل في المدرسة أصبح سمير ذا شخصية مختلفة عما سبق، أصبح لديه رقعة اجتماعية لا بأس بها.

*في يومٍ كان جالسًا في غرفة المدرسين مع أصدقائه وكل شخص يتحدث عن طموحاته، عندما جاء الدور على سمير أردف قائلا:

-أنا أريد أن أفتتح مشروعًا كبيرًا قد يكون مقهى كبيرًا على البحر.

*رد عليه صديقه مراد بضحكة سخرية:

-هل تعلم مشروع كهذا كم يكلف؟

*أردف سمير بثقة عارمة فهو كان لديه قدرة إقناع فيما يكذب فيه. وهو أحب أن يكذب في هذا الموضوع كي يجذب انتباه لين ويوضح لها كم هو شخص طموح وله مستقبل مشرق يعرف جيدًا كيف يخطط له:

- أنا لدي وديعة في البنك تركها لي أبي وهذا المبلغ كفيل لفتح المشروع بالإضافة إلى عملي الحالي.

*كان يتكلم وهو ينظر إلى لين ولكن هي اكتفت باحتقاره.

* أردف مراد: ولكن أغلب هذه المشاريع تنتهي بخسارة فادحة... أرجو ألا تتسرع يا صديقي.

*رد عليه سمير:

- بالفعل يا صديقي أنا سوف أعمل دراسة جدوى لهذا المشروع.

*نظرت لين إلى صديقتها صفاء ساخرة من سمير مرددة كلامه:

- دراسة جدول... ما هي دراسة الجدول يا أختي.. هههه؟

*شعر سمير بالإحراج وقال:

-أنا قلت دراسة جدوى.

*غضبت لين منه ونظرت إليه باحتقار من جديد ومن ثم همست لصديقتها صفاء: إنه كاذب جدًّا.... يبدو أن خياله واسع.

*عندما بدأ الأصدقاء في سؤال بعضهم بعضًا عن الحب وحان دور سمير سأله مراد: وأنت يا سمير هل أنت مرتبط أم أعزب وضد الزواج مثل رأيي؟

*رد عليه سمير محرجًا بعض الشيء وهو يحك خلفية رأسه:

- لست مرتبطًا الصراحة.. ولكن معجب فقط.

* أردف مراد متسائلًا:

- ومن هي التي أعجبت بها؟ هل هي معنا هنا في المدرسة؟

قال سمير وهي ينظر إلى المكتب الذي تجلس عليه لين وصفاء:

- بصراحة أنا معجب بزميلة لنا في هذه الغرفة ولكني عدلت عن الأمر بعدما اتضح لي أنها مخطوبة.

* نظرت لين إلى صفاء... ونظرت صفاء إلى لين.. الاثنتان كلتاهما مندهشتان.. لأن كلتيهما مخطوبتان فقط في هذه الغرفة.. فالباقي متزوج أو مطلق.

لين تنظر إلى صفاء ضاحكة وتقول لها:

- سمير السمين معجب بكِ يا صفاء.

ثم تنظر إليها صفاء مقهقهة وتقول لها:

-بل إن دب الباندا هذا معجب بكِ أيضًا.. لا يختلف كثيرًا عن خطيبك.. فحظك دائمًا مع أصحاب الوزن الزائد.

*نظرت إليها لين في غضب:

- لا تعيبي في خطيبي.. قد يكون الدب معجبًا بكِ أنت وليس أنا.

* نظرت صفاء وهي تبتسم بعد ما رأت ملامح الغضب على وجه صديقتها لين بعدما أصبح وجهها مثل الطماطم وأردفت:

- اهدئي يا صديقتي... أنا أمزح معكِ.

* قالت لين في سرها: "يا لكِ من لئيمة... تقولين ما بداخلك وفي النهاية تقولين أمزح".

* في الحقيقة أنا أكره هذا النوع من البشر الذين يتصفون باللؤم... يتقربون إليك ليعرفوا أدق تفاصيل حياتك... ومن ثم يتهكمون عليك وعلى تصرفاتك ويقولون: نمزح.. فكم من مزحة كانوا يقصدون بها حقيقة مؤلمة.

* أردف سمير قائلًا:

- كم كنت أتمنى أن لو كنت أعمل في هذه المدرسة في الفصل الأول بدلا من بدايتي العمل هنا في الفصل الثاني، لأنه لو كنت هنا منذ بداية العام الدراسي، ما كانت ضاعت مني وخطبت لغيري.

*قال مراد ضاحكًا:

- كم أنت رومانسي يا سمير كل هذه المشاعر في شهر عمل فقط.

* أردف سمير قائلا:

- ألم تسمع عن الحب من أول نظرة؟

* كان سمير منبتهًا جدًّا في تحركات ونظرات لين حتى نظراتها إلى هاتفها، كان مستغربًا من شخصيتها المزدوجة، فهي تنظر إلى الهاتف غاضبة تمامًا منفعلة، ثم تنظر إلى من في الغرفة مبتسمة أو ضاحكة مقهقة.

قال سمير في سره: "يا لها من مجنونة حقًّا... ولكن هذا ما أحبه بها".

نظر سمير إلى لين وهي تهم بالقيام والخروج للرد على الهاتف.

أحب سمير أن يذهب خلفها ويختلس السمع، سمع لين وهي منفعلة:

- لمَ أنت مشغول؟ ساعة اتصل بك وأنت مشغول تمامًا، لا ترفع صوتك عليّ ووووووو.... الخ.

* نظر سمير إلى لين فرآها تبكي فرجع مكانه، علم حينها أنها تمر بخلافات مع خطيبها الذي مر على فترة خطوبتهما خمسة أشهر فقط.

* حينها اطمأن قلب سمير بوجود الخلافات بين لين وخطيبها الأحمق الذي لا يقدر نعمة لين في حياته، حينها طلب من الله أن تكون لين من نصيبه، تمنى لو كان مكان خطيب لين وسوف يجعلها أسعد شابة في الدنيا.

مر الوقت وفي كل يوم سمير يدعو الله أكثر بأن تكون لين من نصيبه.

ومع الوقت كان سمير يرى لين وهي تذبل أمام عينه، وعفويتها تنتهي، لم يعد بها حيل للكلام مع أحد، سوى أنها تكمل حصصها وتنهي دوامها بصمت.

*تغيرت لين ١٨٠ درجة؛ أصبحت نحيفة على غير عادتها وعيونها أصبحت جاحظة من كثرة البكاء، كان السبب في تغير حالها إلى الأسوأ خطيبها الأحمق.

*في شهر يوليو كانوا يجتمعون في المدرسة كالعادة ولكن دون عمل، هذه شروط المدرسة بالطبع، حتى في العطلة يوجد دوام، ما دام لكم أجر في العطلة فلتهزوا طولكم وتحضروا إلى المدرسة. حينها كان وضع لين متغيرًا تمامًا لدرجة أنها أصبحت كئيبة جدًّا.

سأل سمير صديقة لين المقربة مرام:

-ما الذي غير حال لين إلى هذه الدرجة؟

قالت مرام بحكم أن لين صديقتها المقربة وتعرف كل أسرارها:

-أقول لك ولكن لا تقُل لأحد فإنه سر.

أردف سمير مؤكدًا لها إنه لن يخبر أحدًا. قالت له مرام هامسة:

- توجد خلافات بينها وبين خطيبها وهما شبه منفصلين.

تظاهر سمير بالاستغراب لأنه يعلم هذا جيدًا، ولكنه أردف متسائلًا:

- ولكن هل تعلمين ما سبب الخلافات بينهما وهل يوجد رجعة بينهما؟

أردفت مرام:

- لا أظن أنهما سوف يعودان لبعضهما مجددًا.

استغرب سمير هذه المرة حقًّا وقال:

- هل هما انفصلا أم لا؟

* أكملت مرام نمها:

- نعم قد انفصلا بعد فترة امتحانات نهاية السنة، ولكن عادا لبعضهما بعد تدخل الأهل للصلح.

*أردف سمير: وماذا حدث هذه المرة؟

- هذه المرة خطيبها تمادى معها وأكثر من إهانتها، هو حاول كثيرًا أن يجعلها تتركه، ولكنها كانت تصبر، ولكن في النهاية صارحها أنه لا يحبها وأنه يحب غيرها، هي كانت تعلم ذلك ولكن عندما قال لها هذا صراحةً لم تتحمل وتركت له الدبلة.

* أردفت مرام: سامحني يا سمير لا يمكنني أن أحكي لك أكثر من ذلك، فهي صديقتي ولا أستطيع أن أقول أسرارها أنت تعلم..

* سمير يقول بينه وبين نفسه: " كل هذا ولم تقولي شيئًا... ماذا كنتِ سوف تقولين إذا كنتِ ترغبين في قول أسرارها؟".

* بعد فترة تشجع سمير وقال إنه يجب أن يصارح لين بحبه لها، ولكنه كان مترددًا لأنه لم يمر وقت على انفصالها وخروجها من تجربة فاشلة، وقد ترفضه، لذلك قرر أن يفاتح صديقتها المقربة مرام بصدق نيته تجاه لين، سعدت جدًّا مرام بهذا الخبر وقالت له:

- اترك الأمر لي سوف أقنعها بطريقتي.

شعر سمير بالسعادة العارمة تجتاح صدره وشعر أن الله قد استجاب دعوته.

بعد أسبوع من إقناع مرام للين وافقت على سمير، لذا قرر سمير أن يطلب رقم أم لين لكي يطلبها منها وذلك دون علم لين، فقد أخذ الرقم من مرام، واتصل سمير بأم لين:

- ألو، أستاذة فاطمة؟

- ألو، من معي؟

- أنا سمير زميل لين في المدرسة... أود من حضرتك طلب يد لين للزواج... فإني لن أجد بنتًا مثل ابنتك.

- ولكن يا بني هل تعلم لين بهذا الأمر، فالرأي رأيها هي في مثل هذه الأمور.

قال سمير في نفسه: "الرأي رأيها... يا للكِ من محظوظة يا لين.. يبدو أن أمك عكس أمي تماما".

قال سمير مردفًا:

- نعم.. هي قد علمت بي فقد قلت لصديقتها وهي قالت إنه لا يوجد مانع... لذلك قررت قبل أي شيء أن تعلمي أنت أيضًا.

- ما دام لين موافقة ليس لدي مانع.. فهذه حياتها.. ويجب أن تكون حياتها مبنية على اختياراتها الخاصة، لأن هذا سوف يساعدها في بناء شخصيتها... حتى الاختيارات الخاطئة سوف تكون دروسًا لها كي لا تقع في الخطأ نفسه مرة أخرى.

قال سمير وهو مسرور جدًّا:

- أنا سعيد جدًّا بالتحدث معكِ.. وسعيد أكثر بموافقتك علي.. ولكن لدي طلب صغير.

-تفضل يا بني.

-هل يمكن أن تكون الخطوبة على بداية العام الجديد.. كي أكون مستعدًا من حيث الطلبات كالشقة وغيرها.

-الرأي رأي لين يا بني.. وبالنسبة لي لا يوجد أي مانع.

انتهي سمير من المكالمة وهو سعيدٌ جدًّا بأنه ضمن أن لين أصبحت له.

★★★

(الفصل الرابع)

رجعت لين إلى المنزل فوجدت أختها أمل تفتح لها الباب وهي تقفز من الفرح.. سألتها لين: ما الذي يجعلك سعيدة هكذا يا أمل؟

*نظرت لها أمل وهي تنظر وتغمز لها:

- ألا تعلمين يا لين؟

* قالت لين في تلهف:

- ماذا حدث.. قولي لي؟

شخص اسمه سمير اتصل بأمي وقال إنه يريد أن يخطبك منها ولكنه سوف يؤجل الخطوبة لحين أن يكون جاهزًا.

- وهل وافقت أمي؟

- بصراحة أمي لم تمانع... لأنها ترى أن الأمر يرجع إليكِ، أطلب منك طلبًا يا لين وأرجو أن تسمعي لي.

- ما هو ذاك الطلب؟

- أريدك أن تصلي استخارة في هذا العريس، انظري لاختيار الله لكِ سواء كان خيرًا أم شرًّا، فالله يعلم ما بداخل النفوس.. بينما نحن مخدوعون فيما هو ظاهر فقط.. وقد نخدع بما نسمع أو بما نرى.. ولكن الله يعلم الخير جيدًا... فلا

تتسرعي هذه المرة.. وانظري إلى حكمة الله وخسارة قريبة خير من خسارة بعيدة.. وأنا أتمنى أن يبشرك الله بأنه خير ويعوضك عما فاتك.

- إن شاء الله يا أمل..

- آها... ما دام قلتِ إن شاء الله بهذه الطريقة فهذا يعني أنك لن تصلي.. أدعو الله أن يهديكِ.

*بدأت لين تتكلم مع سمير وبالفعل أعجبت بروحه المرحة النشطة، أعجبت به لأنه كان عكس خطيبها عماد الذي كان دائمًا يجرحها بكلامه.

*بعد مدة جاءت أمل إلى لين وقالت لها:

- لقد رأيت رؤيا لا تبشر بالخير لكِ.

- وما هي؟

- رأيت أنك تشترين شيئًا خشبيًّا عليه علامة الصليب وأنا حذرتك وقلت لكِ لا تأخذيه، غير مناسب، وأنتِ لم تكترثي لكلامي أبدًا.

- وماذا بعد؟

- إنها رؤيا وليست رواية.

- وماذا تعني؟

- تعني أن العريس هذا يتسم بالنفاق وكاذب ومخادع، أنا حذرتك منه.

- لا آمن بهذه الخرافات.

- ليست خرافات... بل علم كبير... وهي رسائل من المولي ﷻ علينا بالأخذ بها، ففيها التبشير نفرح به، وفيها التحذير ويجب الأخذ بالحذر والحيطة ونفهم رساله الله منها.

*ردت لين في تهكم:

- يعني لو أن رجلًا حلم بالشيء الخشبي هذا وعليه علامة الصليب معناه سوف يتقدم له عريس كاذب ومنافق؟

- لم أقل ذلك... أنتِ لا تعلمين شيء في علم الرؤى والأحلام، كل شخص يختلف له التأويل على حسب حالته الاجتماعية والدينية، يعني لو أن شخصًا مسيحيًّا حلم بالصليب فهو خير له على عكس الشخص المسلم.... لست هنا لكي أشرح لكِ علم الأحلام.. ولكن الله أرسل لي تحذيرًا لكِ وهذه نصيحة.. اتركيه الآن... فأنتِ لم تعرفيه حتى الآن.

- لو أراد الله أن أنفصل عنه سوف أنفصل.

- وما هي أهمية الرؤيا... الله يقول سوف يحدث انفصال ولكن بعد مدة... كل يوم سوف يمر من عمرك معه سوف يؤثر عليكِ... أنت تفعلين مثل الذي يقول لو أراد أن نعبده لفعل ذلك... الله قادر على ذلك ولكن نحن مخيرون.. وأنتِ بعد فترة سوف تنفصلين عن خطيبك هذا لهذا العيب به وهو النفاق والكذب ولكن الله حذرك.. وأنتِ لم تفهمي الرسالة.

* كانت لين بعيدة كل البعد عن الله... كانت مسلمة فقط بالاسم والوراثة من والديها.. بالرغم من أن عائلتها كلهم ملتزمون بالصلاة وأركان الإسلام كافة

إلا هي كانت تقوم بالصيام فقط تمتنع فيه عن الأكل ولكن تسمع الأغاني ولا تصلي ولا تقرأ القرآن حتى في هذا الشهر الفضيل... أهلها كانوا يدعون لها دوما بالهداية.

*عندما تحدثت لين مع سمير وسألته:

- هل أنت من سمتك الكذب؟ إني لا أحب الكاذبين أبدًا؟

*قال سمير وهو مستغرب من سؤال لين له:

- لا.. أبدًا.. أنا لا أحب الكذب بتاتًا... ولكن لكي أكون صريحًا معكِ.. إني كذبت على أمي فقط في موضوع دراستي وعملي... فهي على علمٍ أني أعمل مهندسًا..

- ولمَ تكذب عليها؟

- لأنها تحب أن تراني مهندسًا... وأنا لا أريد أن أجرحها... وأحاول فقط أن أسعدها وأرضيها..

-ترضيها وتسعدها بالكذب؟

-إني مجبر على ذلك... قد حاولت مرارًا مصارحتها... ولكن أتراجع ولا أخبرها خوفًا على صحتها.. فهي كبيرة في السن... وليس لديها غيري في الحياة بعد زواج أختي نور...فلا أحب أن أحزنها أو أن أخيب أملها..

- يعني أنت تعترف أنك تكذب على أمك... وما يضمن لي أنك لن تكذب عليّ أيضًا.

- لن أكذب عليكِ، أوعدك... إني توقفت عن الكذب تمامًا.. أنا تغيرت.

*بعد ما أكملت لين المكالمة مع سمير ذهبت إلى أختها أمل في غرفتها وقالت لها وهي تشعر بالانتصار:

- لقد سألته إن كان من طبعه الكذب أم لا... واعترف لي أن هذا الطبع لم يعد من صفاته بعد اليوم.

- وأنت صدقتِ كلامه؟

-نعم... إنه وعدني.

-لم تصدقي رسالة الله من الرؤيا وصدقتِه هو؟

- نعم.. صدقته هو بالفعل صادق.

- أنتِ حرة.. هذه حياتك.. اختاري فيها ما تشائين.. وأتمنى أن يكون ظنك به صحيحًا ونسعد بكِ عن قريب.

*في يومٍ سأل سمير لين عن خطيبها السابق عماد:

- كيف تعرفتِ على عماد، وكيف تم الانفصال، وما هي الأمور التي لم تعجبك فيه؟

- إنها قصة طويلة.. ولا أحب أن أحكيها... إني أحاول أن أحذف هذه الفترة من حياتي.

- احكي لي ما جرى وسوف نقفل هذا الموضوع تمامًا. أنتِ تعلمين جيدًا أني أحب أن أعرف عنكِ كل شيء فأنتِ وأنا كما تعلمين أصبحنا شيئًا واحدًا. سوف

أعرف عنكِ كل كبيرة وصغيرة وأنتِ سوف تعرفين عني كل شيء كذلك.

- سوف أحكي لكَ ما حصل... ولكن باختصارٍ شديدٍ..

- موافق يا لين.

- تعرفتُ عليه من خلال صديقة لي هي أمّ لأحد طلابي... وعرفتني على أخ زوجها.. كان لديه محل خاص به... وهو من عائلة كبيرة وذو مستوى عالٍ إلى حد ما.. وكان أهله يحبون أهلي... وكلتا العائلتان كانتا ترغبان بتمام الزواج... ولكن لم يحدث تفاهم بيني وبينه... كنا مختلفين عن بعض تماما.. ولكن في النهاية لم يحدث نصيب.. وأنا تركته.

- هل يمكن أن تقولي لي سبب الانفصال بالتفصيل؟

*ردت لين في ضجر:

-لا أريد أن أتذكر.

*أردف سمير مهدئًا لها: اهدئي يا لين... لم أقصد مضايقتك.. ولكن آخر شيء أريد أن أعرفه: ما هو أكثر عيب كنتِ تكرهينه في عماد؟

- كان سريع الانفعال.. وأنا لا أحب العصبية دون سبب.. تحملتها فترة ولكن لم أستطع أن أكمل حياتي مع شخص يتعصب على أتفه الأمور.

* أردف سمير في سره: "إنه بالفعل سبب مقنع... إن أمي بعصبيتها المفرطة جعلت حياة أبي وحياتنا جحيمًا... لو لم تكن أمي لما صبرت على العيش معها وهي بهذا الطبع.

*ومن ثم أردف قائلًا للين:

- اعذريني للتحدث في هذا الموضوع... صدقيني هذه آخر مرة.. وأوعدك بأني سوف أعوضك عما فاتكِ.

* قالت لين في سرها متهكمة: "الجميع يقولون ذلك في البداية".

* ثم قالت لسمير في صوت تتصنع فيه أنها نعسانة:

- سمير اعذرني، أنا أود أن أنام... نكمل حديثنا غدًا في المدرسة...

* بعدما أغلقت المكالمة ظلت تفكر وتتذكر كيف بدأ الأمر بمعرفتها بعماد.

★★★

(الفصل الخامس)

*في شهر أكتوبر من عام ٢٠١٦ بعد مرور شهر على بداية العام الدراسي، نظرت لين إلى هاتفها فوجدت عدة مكالمات فائتة، فهي لم تستطع الرد لأنها كانت تعطي حصة، ومن ثم وهي في الاستراحة وتحتسي كوب القهوة كالعادة، رن هاتفها بنفس الرقم من جديد، ردت على الهاتف:

- ألو... من معي؟

- ألو... أستاذة لين؟

- نعم.. معكِ لين..

- أطلب من حضرتك أن تدرسي لأولادي في المنزل إذا كان وقتك يسمح ابني حمزة يحبك كثيرًا.

- لا يوجد مانع.. ولكن سوف أرتب جدولي وأقول لكِ الموعد المناسب.

"انتهت المكالمة وبدأت لين تتردد على بيت الأستاذة نادية.

كانت الأستاذة نادية من نوع الثرثار الذي يحب أن يتدخل في تفاصيل حياة من أمامه... أستاذة نادية ثرثارة... ثرثارة كأغلب النساء.. لدرجة أن لين حددت يومًا في الأسبوع لابني الأستاذة نادية فقط -حمزة ومحمود-. ولا تنسوا وقت الحصص يكون مضاعفًا من أجل أن يسع ثرثرة تلك المرأة.

بدأت الأستاذة نادية تعرف تفاصيل أكثر عن لين وأسرتها... واكتشفت أن أبا لين من قنا ومن عائلة هي تعرفهم، وقالت لها:

- أنا أيضًا أبي من قنا.. وما زال هناك.. أنا اسمي نادية محمود السمدوني... لنا الكثير من الممتلكات والأراضي وأبي كان مستشارًا... لذلك تزوجت ابن صديقه المستشار... حتى زوجي فهو مستشار مثل أبي وأبيه... عائلتنا أغلبها مستشارون وأطباء... ماذا عن والدك؟

- إن أبي رجل أعمال... لدينا ثلاثة مقاهي على البحر وأربع عمارات وأبي يشرف على ذلك... لقد تعب وجدّ كثيرًا لكي يصل إلى هذه المرحلة ويرتاح.

- وماذا عن أمك.. هل هي تعمل مثلك؟

- لا بل إن أمي ربة منزل... أبي رجل صعيدي ويغار كثيرًا وكان حينها يرفض فكرة العمل.

- ولماذا أنتِ تعملين إذا كان والدكِ يرفض فكرة العمل؟

- "أبي يرى أن الزمن تغير تمامًا... ولكنه يحب أن أتزوج ويكون لي أسرة... فهو يحب التكوين الصحيح للكون.. الرجل للعمل.. والأنثى للبيت..

أبي من وجهة نظره أن الرجل الذي يدع زوجته تعمل وتساعد في البيت ليس رجلًا أبدًا... هو يمشي بمبدأ: (الرجال قوامون على النساء)، يرى أن الرجل يجب أن يتعب من أجلها وينفذ حكمة الله التي طلبها منه. ولا يحب أيضًا أن تخرج الزوجة للعمل فقط حتى وإن لم تساعد في مصروف البيت... يرى أنه بهذه الطريقة يكون الضغط كبيرًا على المرأة من حيث بدل من أن يكون لها واجب

واحد فقط بل أصبح عليها واجبان، واجبها تجاه المجتمع وواجبها تجاه أسرتها، وهذا مجهود عظيم وكبير وقد لا تتمكن من المساواة في بعض الأحيان.

أبي يرى أنه من البداية يجب على البنت أن تتمهل وتختار رجلًا يقدر قيمتها ويجعل لها حياةً ترتاح فيها، ويجعل عليها مسؤولية الأسرة فقط ولا يحملها فوق طاقتها، كي لا تقصر في أداء واجبها".

*أردفت نادية مؤكدة كلام لين:

- بالفعل كلام والدك صحيح... استسهال أغلب البنات في هذه الفترة للزواج، جعلهن يتنازلن عن الكثير من حقوقهن من أجل الزواج، فهذا جعل الكثير في هذا الجيل من الذكور الذي لا يصح أن نقول إنهم رجال من يبحث عمن تكمل له نصف مرتبه وليس من تكمل له نصف دينه، ويكون الاثنان مشغولَين في الخارج وبعيدَين كل البعد عن أولادهما.

لين: "بالفعل أغلب الأمهات هذه الفترة لم تعد تهتم بأولادها فهي مشغولة بعملها.. منذ أن يكون ابنها عمره عامان يكون في الحضانة ومن ثم يدخل المدرسة ولا تقوم بالتدريس له وتجلس معه كما نعرف أن الأم مدرسة، بل تشترك له في مجموعة للدروس الخصوصية أو تأتي بالمدرسين له في البيت، وما تأخذه من العمل تصرفه على الدروس الخصوصية، أتساءل أحيانا لو هي وفرت وقتها من العمل وجعلت هذا الوقت لبيتها واهتمت بأولادها وقامت بتدريسهم وتثقيفهم وتجتهد على إنشاء جيل جديد أكثر وعيًا وثقافة إلى المجتمع لكان خيرًا لها من الدور الذي سوف تسهم فيه في المجتمع هي بمفردها وبسببه

أهملت به بيتها وأسرتها.

أعلم أن رأي أبي صحيح في بعض الأحيان.. ولكن أنا بحكم تدريسي للكثير من الطلاب.. وعرفت الكثير من الأسر.. توجد الكثير من ربات المنزل اللاتي لا يعملن، في الوقت نفسه مقصرات في بيوتهن وفي اهتمامهن حتى بشكلهن، بالرغم من أن كلا منهن لديها الكثير من الوقت لكي تهتم بنفسها وأسرتها وأن تقوم بدورها الذي خلقها الله من أجله على أكمل وجه، إلا أنها تقضي اليوم كله في الاتصال بأقاربها وأصدقائها، هي مع أولادها في المنزل ولكن بعيدة كل البعد عنهم، حتى تدريس الأولاد تطلب مدرسين لهم بالبيت وعندما أسألها: لمَ لا تحاولين أنت وتدرسينهم فهم في المرحلة الابتدائية؟ تقول الأم ضاحكة: لا أستطيع التحكم بهم، إنهم لا يسمعون كلامي.

عندما يقولون ذلك أندهش تمامًا.. وأتذكر أمي.. على الرغم من أن أمي طيبة جدًّا وتعتبر صديقتنا... إلا أن وقت الدراسة يكون وقت الجد، نرى وجهًا آخر تمامًا، لا يوجد استسهال في الجد.. الذي أعلمه جيدًا أن الأم هي من تبرمج ابنها وليس العكس".

*أردفت نادية:

- ولكن أنا بالفعل أجد صعوبة في التعامل مع أولادي في موضوع التدريس، الأولاد هذا الجيل غيرنا تمامًا، لا يسمعون الكلام مثلنا.

لين: الأولاد مثل كل جيل لم يتغيروا، صدقيني، ولكن العيب فينا نحن، جئنا إلى الدنيا وكل يوم نجد الدنيا تصبح أكثر سهولة من التطور الإلكتروني

الناس من قبل كان لديهم صبر في كل شيء، صبر في الذهاب من مكانٍ إلى مكان، والصبر للقيام بكل شيء في الحياة، وكلما مرت الأيام تطور العالم وأصبح كل شيء سريعًا، وكلما أصبح كل شيء سريعًا أصبح الصبر أقل، كل جيل يكون أقل صبرًا من الجيل الذي سبقه.

أردفت نادية موضحة وجهة نظرها:

- "لقد تغير كل شيء.. وما كان غريبًا للجيل الذي سبقنا.. فأصبح الآن عاديًّا.. ولا يؤثر على المجتمع.. عادي أن الرجل يكون في البيت والمرأة تصرف عليه.. هذا لا يعني أن هذا النوع من الذكور لم يكن موجودًا من قبل... ولكن لم يكن واضحًا مثل الآن.. تجد أن بعض الأسر تديرها النساء فقط وتصرف على الرجل وتهتم بدراسة أولادها من خلال الدروس نظرًا لضيق وقتها... وأصبح الشاب الذي يتزوج من شابة عاملة أمرًا عاديًا تمامًا، بعدما كان الرجل يكسر البيت كله ويرفض أن تعمل زوجته لأنه يغير عليها، أصبح الآن هو من يطلب أن تساعده في المصاريف، ووووووو.... الخ

صدقيني يا لين الوضع تغير تماما... وهذا التغير نشأ على مر سنين كثيرة... وصدقيني أن لكل قاعدة استثناء.. يوجد امرأة تعمل هي وزوجها وأولادهما ناجحون.. ويوجد من في البيت وغير مهتمة بأسرتها كما قلتِ.. ويوجد من يختارون نجاحهم ويهملوا أولادهم... الخ

لين: عندك حق... المهم أن يختار كل شخص من يرتاح معه.. ولكن المهم أن نحاول جاهدين أن نصلح ما أفسده الزمن بنا.. يجب أن نرجع ونحاول أن

نتحلى بالصبر.. أن نتعلم أساسيات تكوين أسرة والتعامل مع الطفل في كل مراحل حياته من قبل الزواج حتى.. حتى لا تأتي المرأة بعد الزواج وتقول أنا لا أستطيع أن أتعامل مع أولادي. بل بالعكس يجب أن نعكس أننا جيل خلق في مجتمع أكثر وعيا وثقافة.. علينا بدراسة كل ما نمر به.. قبل أن نُقبل على الزواج نعرف أساسيات الزواج الناجح... قبل الإنجاب نعرف أساسيات التعامل مع الطفل الرضيع وهكذا، يجب أن نحاول أن ننشئ أسرة صحيحة على أكمل وجه مبنية على الوعي والثقافة.

*نظرت نادية إلى لين بإعجاب... قد أعجبت بثقافة لين وقدرتها على الحوار حتى مع من يخالفها في الرأي بعض الشيء..

★ في الحقيقة أن كلام لين الذي كانت تقوله مع الأستاذة نادية لم يكن يعكس وجهة نظرها... ولكن كانت لين تحاول أن تظهر أمامها بأن لها رأيًا ولكن كانت لين في كل ما قالته هو مجرد تكرار لوجهة نظر أبيها وبعض آراء أختها أمل.

*في الحقيقة كانت لين من النوع الذي يشبه الصلصال الذي يتشكل على حسب من حولها أو على حسب من تتأثر بهم.

*أصبحت لين ونادية مقربتان جدًّا... يثرثران كثيرًا في الهاتف... إلى أن جاء يوم وقالت لها إنها تريدها أن تتعرف على أخ زوجها فهو شاب أعزب خريج حقوق ولكنه ليس له ميول مثل أبيه وأخيه المستشارين.. لذا قرر أن يكون له عمله الخاص، محل كبير للهواتف في مكان معروف في الإسكندرية.. اتفقت مع لين أن المقابلة الأولى سوف تكون في شقتها عندما تأتي إليها لكي تعطي درسًا

لأولادها.

عندما وصلت إلى شقتها، دخلت لين إلى غرفة الجلوس على ذلك الصالون المعروف في أغلب البيوت المصرية، ذاك الصالون ذو اللون الذهبي الذي يحاول الكل أن يعكس طابعًا ملكيًّا به على بيوتهم البسيطة.

عندما دخلت رأت "عماد" كان ينظر إلى هاتفه المحمول، وبالرغم من أنه رآها إلا أنه لم يهم بالقيام أو حتى بالابتسام لها، شعرت أنه مجبر على ذاك اللقاء أكثر من كونه هنا بإراداته.

*كان شابًّا طويلًا ولكنه سمين جدًّا وذو "كرش" ضخم جالس أمامه، وكان على عكس أصحاب الوزن الزائد فهم معروفون أغلبهم على الأقل يمتازون بخفة الظل، بالعكس كان عماد يتصف بالتكبر والغرور بشكل لا يوصف.... كان حليق الرأس تمامًا.. يبدو أنه يعاني من بداية صلع في مقدمة رأسه، لذا قرر أن يحلقها كلها.

وكان ذا عيون جاحظة من النوع غير المحبب بتاتًا، وبالتالي نتيجة لضخامته وصلعته ونظرته القاسية كل ذلك جعل لين تشعر بالرعب تجاهه. بالرغم من كل ذلك... طلب منها الأستاذ طارق وزوجته نادية أن تتفضل بالجلوس.

*كانت هذه أول مرة ترى فيها الأستاذ طارق زوج الأستاذة نادية... فهي كانت كثيرة الكلام عنه لها وكم هو طيب جدًّا ورومانسي وكم هو يحبها ويساعدها أحيانا في أعمال المنزل.

*لين في سرها كنت دائمًا تقول: "يا لها من محظوظة".

يومها رأت الأستاذ طارق كان ليس بطويلٍ ولا قصير ولكنه يميل إلى الطول بعض الشيء وبشرته تميل إلى السمرة إلى حدٍّ ما وكان أشعث الشعر وكانت أسنانه كلها بارزة من فمه من كبر حجمها، تقريبا لكي أحسن التشبيه فإن لديه فم وضحكة إسماعيل ياسين، وبالفعل لم يكن يمتلك ضحكة إسماعيل ياسين فقط بل كانت روحه مرحه مثله.... بالرغم من مكانته -فهو مستشار بن مستشار- إلا أنه كان في قمة المرح والتواضع. على عكس أخيه ذاك الذي يتسم بالتكبر بالرغم من أنه لم يصل إلى تلك المكانة التي وصلها الأستاذ طارق..

المكان هادئ تمامًا، لم يهمّ العريس عماد بالتكلم بل استمر في التقليب في هاتفه... وهذا زاد لين غضبًا.

*تنحنحت الأستاذة نادية معلنةً بدء المحادثة... ولكنه اكتفى بأن ينظر إلى لين ولها ولم يتكلم.

*قالت لين في سرها: "يبدو أنه المدلل لهم ويجب أن يلقنوه كل شيء يفعله".

*بدأ الأستاذ طارق في التحدث وعرفهما على بعض... ولكنه كان يرد ردًّا مختصرًا جدًّا... ونظراته من عيونه الجاحظة كانت جافة للين تمامًا.

*بعد ما انتهت تلك المقابلة... وعادت لين إلى المنزل، اتصلت بها نادية لكي تعرف رأيها..

- ألو... لين... كيف حالك؟

- أنا بخير...الحمد لله.

- ها قولي لي ما رأيك؟

- رأيي بماذا؟

- في عماد!

- كيف أقول رأيي في شخصٍ لم يكن مرحبًا بي من الأساس... أشعر أنه كان مجبر على هذه المقابلة.

-لا أبدًا... هو من النوع الكتوم بعض الشيء... هو يتصرف هكذا مع الجميع... ولكنه طيب صدقيني..

- لست متأكدة... سوف أقول لأهلي عما جرى اليوم.

- إذن نعتبر أنك موافقة، وأنا سوف أحدد موعدًا مع العائلة كي نزوركم.

- لمَ أنت متعجلة هكذا يا نادية؟

- إني أحببتك جدًّا.. أنت يا لين أكثر من أختي.. وأريدك أن تكوني معي.

- حسنًا... سوف أخبر أهلي وأقول لكِ.

*خرجت لين إلى الصالة فوجدت بها أختها أمل وأمها.. وجلست معهما ومن ثم قررت لين أن تقول لهما ما جرى.

*عدلت من جلستها ونظرت لهما وأردفت:

- أريد أن أقول لكم شيئًا.

*ردت أمل في تلهف:

- آه صحيح لقد حلمت بكِ ليلة أمس... وقلت لأمي سوف أقول الحلم عندما ترجعين إلى البيت... ولكن توًّا ما تذكرت أن أقول لكِ.

* ردت لين في ضجر فهي تمقت سيرة الأحلام ولا تصدقها حتى.

- وما هو هذا الحلم؟

* ردت أمل قائلة:

-حلمت أنك تركبين حصانًا اسود اللون وكان غاضبًا جدًّا وكنتِ تركبين فوقه دون أن يكون به لجام وتحاولين أن تصعدي به فوق درجات السلم وعندما أوشكتِ على الوصول، غضب الحصان أكثر ورفع رجليه الأماميتين من على الأرض ورفع نفسه فسقطتِ أنتِ من على ظهره من هذا المكان العالي.

* أردفت لين: وما معنى ذلك؟

أردفت أمل موضحة:

-هذا يعني أنك فيما بعد سوف ترتبطين بشخصٍ له مكانة عالية ولكن حياتك معه سوف تكون سوادًا وذلك بسبب سوء معاملته لكِ وقسوة طبعه معكِ، بالرغم من ذلك سوف تتحملينه لكي تصلي إلى هدفك ألا وهو الزواج من شخصٍ ذي مكانةٍ عاليةٍ ولكن في النهاية قبل تمام الزواج تمامًا سوف ينسحب من حياتك... وأنتِ سوف تخسرين كل شيء، وكونه بلا لجام معنى ذلك أنك لن تستطيعي التعامل معه أو التفاهم معه وذلك ليس لعيبٍ فيكِ بل العيب فيه

هو، وهو سوء طبعه.

-ردت لين موضحة: ولكني غير مرتبطة حاليا فمعنى ذلك أن هذه الرؤيا ليس لها معنى؟

-لا يا ذكية.. الرؤى أنواع كثيرة... وهذه الرؤيا مستقبلية فاحذري.

من ثم أكملت أمل كلامها بالحماس نفسه: ها.. قولي لنا ما الأمر الذي كنتِ تودين أن تخبرينا إياه؟

*ردت لين في تردد بعدما سمعت تلك الرؤيا:

-ها.. لا شيء.. ليس بموضوع مهم.. موقف حدث معي في المدرسة.. أشعر أني متعبة حقًّا.. سوف أذهب لأخلد إلى النوم.. وغدًا سوف أحكي لكم.

*دخلت لين غرفتها فوجدت مكالمة من رقم غريب.. فقامت بإعادة الاتصال بذلك الرقم:

- ألو.. من معي؟

- أنا عماد.. أهلًا لين..

*وبدأ الكلام وبدأ التعارف وطالت المكالمة كثيرًا، بعدما أغلقت المكالمة، فكرت في عماد من جديد وقالت في قرارة نفسها: "إنني تسرعت في الحكم عليه إن كلام نادية عنه صحيح بأنه كتوم بعض الشيء أو يخجل من التحدث أمام أحد... مع أن شكله لا يوحي بذلك... ولكن قد يكون اكتسب ذلك الطبع وذلك بسبب إفراط أهله في دلعه".

*لذا قررت لين أن تصدق كلام نادية.. وألا تعير انتباهها لما قالته لها أختها أمل ورؤياها الغريبة تلك.

تساءلت لين في قرارة نفسها متعجبة: أتساءل دائمًا لمَ تشغل أختي أمل بالها بالأحلام ولا تأخذ الفكرة عن الأشخاص من أرض الواقع.

*بعد مرور أسبوع على المقابلة التي جرت في بيت نادية.. إلى أن جاء اليوم الذي قالت لها نادية بأنهم سوف يأتون لمقابلة أهلها..

قالت لين في نفسها وهي متوترة: "لم يتبقَّ أمامي سوى يومين... سوف أحكي لأمي ما جرى وأمي تتولى الأمر وتقول لأبي.

* بحثت لين عن أمها فوجدتها في المطبخ.. ثم أردفت:

-أمي... يوجد امرأة أعرفها هي أم أحد طلابي.. أعجبت بي كثيرًا لذا قررت أن تعرفني على أخ زوجها.. وتمت مقابلة في بيتها.. هو ليس وسيمًا ولكنه مقبول إلى حد ما، ولكن مستواهم الاجتماعي عالٍ إلى حد ما، وصديقتي نادية تنصحني بأن أوافق، وكنت سوف أقول لكِ من أول يوم ولكن لم تأتِ فرصة.

* كانت الأم مندهشة بأنها جاءت لكي تخبرها قبل المقابلة بيومين فقط، ولكن الأم فاطمة لم تكن من نوع الأمهات الدرامية فتجاهلت الأمر وقالت في قرارة نفسها أنها كبيرة وتعرف جيدًا كيف تدير حياتها بمفردها وكيف تأخذ قرارتها.

- سوف أقول لوالدك... ولن أقول له أي تفاصيل سوف نعرف كل شيء في المقابلة بإذن الله.

* كانت في بال الأم أنها مجرد مقابلة للتعارف ومن ثم يحددون رأيهم بالموافقة أو الرفض، ولكن بعد ما انتهت لين من الكلام مع والدتها دخلت غرفتها لكي تكلم نادية... فهي أصبحت معها طوال الوقت ولا تخطو خطوة في علاقتها مع عماد إلا بعد استشارة الأستاذة نادية وتمشي على خططها التي تقولها لها..

*قالت لين لنادية في لهفة:

- أخبرت أمي بموعد المقابلة.. وأمي اتفقت أن المقابلة سوف تكون بسيطة للتعارف بين العريسين والوالدين..

*أردفت نادية مصححة:

-لا... عندما جاءوا لخطبتي كانت العائلة كلها حاضرة مع العريس.. يعني العريس ووالداه وإخوته وأولاد إخوته أيضًا.. ولا يكون تعارفًا بسيطًا... بل عائلتي قاموا بتحضير وليمة كبيرة لهم على قدر هذه العائلة وقيمتهم... لا مجال للرفض... إني رتبت لكِ كل شيء.. ما سوف يحدث هو مجرد تحصيل حاصل.. ويوم الخميس سوف تكون قراءة الفاتحة بإذن الله.

* بعدما أنهت لين المكالمة مع نادية خرجت لأمها ثانيةً وأوضحت لها تقاليد عائلتهم.. وقالت موضحة لأمها بصيغة الأمر: علينا القيام بوليمة كبيرة للعائلة.. تعكس إمكانياتنا المادية وكرمنا..

*أردفت الأم متعجبة من أسلوب بنتها موضحة:

- وهل أنت سوف تفعلين كل شيء من البداية على مزاج نادية.. ولمَ لا تعكسين طباعنا نحن.. بهذه الطريقة تظهرين أنك متلهفة عليهم.

* ردت لين على أمها في عصبية:

- يا أمي إن نادية فعلت ذلك أيضًا عندما قاموا بخطبتها..

* ردت الأم موضحة مهدئة من روع ابنتها:

- عائلتها فعلوا ذلك لأنهم كما قلتِ يعرفون بعضهم بعضًا، بينما نحن لا نعرفهم..

* استمرت لين في الغضب على أمها وقالت:

-ولكني أعرفهم جيدًا.

*ردت الأم في تهكم:

- هل مدة شهر تجعلك تحكمين أنك تعرفينهم جيدًا؟

* قالت لين لأمها في ضجر:

-أنتِ تريدين أن تخربي موضوع الخطبة من قبل أن يبدأ، أنت تريدينني بجوارك، كل صديقاتي متزوجات إلا واحدة مخطوبة وأنا العزباء الوحيدة، تريدينني بجانبك إلى الأبد.

- أنا لم أرفض العريس.. ولكن الفكرة فكرة أصول... ولا تتلهفي على شيء هكذا... نصيبك سوف يأتي لكِ ولو كنتِ بداخل صندوق... وأقول لكِ شيئًا: افعلي ما تشائين هذه حياتك وهذه ورقتك فاملئيها برغباتك.. لا شأن لي بقراراتك. ولكن نصيحتي لكي وحاولي أن تأخذي بها... لا تجعلي نفسك مثل العجين في يد أحد... لا تجعلي أحدًا يشكلك كما يشاء... دائمًا تذكري ما ربيتك

عليه.. أن قراراتك نابعة من ذاتك لا من أحد.. لا تنسي أن يكون لكِ شخصيتك وذاتك أنتِ لستِ دمية في يد أحد ولا مثل أحد.

*توقفت لين عن تذكر هذه المرحلة وأردفت في نفسها: "يا ليتني سمعت كلام أمي.. ولم أدع أحدًا يختار لي... مهما كان لن يجد من يريد لك الخير سوى أمك..

امممممم.. يجب أن أتوقف عن التفكير قليلًا... يجب أن أنام من أجل دوامي غدا..

***

***في شهر أكتوبر عام ٢٠١٧ وفي بداية عام دراسي جديد**

* لين وسمير في حديقة المدرسة، وسمير يجلس بجوارها يفعل ما بوسعه لكي يرى ابتسامة لين ولكن لين أوقفت حديثهما وسألت:

-ألم تقل لأمي بأنك سوف تقول لوالدتك وسوف يحدث ارتباط رسمي على بداية العام الدراسي الجديد.

-لا تقلقي يا حبيبتي.. أنا فقط تعطلت قليلًا بسبب موضوع الشقة.. ولكن أوعدك أن تكون الخطوبة على العام الجديد.. ونكون حينها اخترنا شقتنا... صدقيني يا لين.. أنا سوف أفعل ما بوسعي كي تكوني لي.

- إذن عليك أن تتصل بأمي وأن تقول لها على الموعد الجديد.

*مر الوقت وبالفعل أقنع سمير لين بأنه اشترى شقة بالمبلغ الذي تركه له أبوه في البنك... وأنه اشترى الشقة عوضًا عن المشروع الذي كان يرغب بأن يقوم به.

في عطلة نصف العام الدراسي أي بعد رأس السنة... صارح سمير أمه بأنه يرغب في الارتباط.. نظرت له أمه باستغراب وقالت:

-من هي؟

*توتر سمير لأنه لا يصح أن يقول إنها تعمل مدرّسة وكيف يتعرف على مدرسة وهو من المكتب إلى البيت ولكنه جاءت له فكرة سريعة فهو بارع في الكذب وأردف: إنها سكرتيرة المكتب الجديد.

*قاطعت أمه حديثه وأسكتته ونظرت إليه بتلك النظرة الأرستقراطية أي كأنها كانت بنت باشا في يومٍ من الأيام..

- تريد أن ترتبط بمجرد سكرتيرة... وأنت مهندس وأبوك مهندس.

- ولكنها يا أمي سكرتيرة... ليست جاهلة.. إنها خريجة تجارة قسم إدارة الأعمال.. وهي جميلة جدًّا.. وأهلها مستواهم فوق المتوسط أي مثلنا.

*ردت عليه أمه في ضجر:

- هل أنت هنا لكي تأخذ رأيي.. أم لكي تفرض عليّ رأيك؟

- أبدًا يا أمي.. القرار كله لك... أنا متأكد أنك سوف تحبينها.. إنها تشبهك كثيرًا.. وهذا ما لفتني إليها.

- وهل في رأيك أن هناك من يشبهني؟

- لا يا أمي لا يوجد مثلك في الكون كله... ولكنك إذا رأيتها سوف تحبينها كثيرًا.

- لا أدري دعني أفكر.

-لدي فكرة يا أمي، ما رأيك أن نقوم بمقابلة.. وتقولين رأيك بعد ما تتعرفين عليها وعلى أسرتها.

-قلت لك دعني أفكر.

- أمي هذه أول مرة أطلب منك طلبًا فلا تقولي لا.

- ولكني لم أقل لا... ولكن قلت دعني أفكر.. واتركني الآن هيا، أشعر بأني

متعبة وأرغب في النوم.

-ارتاحي يا أمي ولكن لا تنسي أن تفكري في الموضوع.. أحلام سعيدة.

*ظلت سميحة تفكر طوال الليل.. وتقول في خاطرها: "هل أقول له لا وأكسر قلبه.. فهو وحيدي الذي أحبه كثيرًا... الذي طالما كان يسمع كلامي أم أوافق وأخسر ابني وأعيش وحيدة في هذا البيت.. وهو بالنسبة لي العالم كله... يومي كله قائم على وجوده معي؟ لن أتعجل وأقول رأيي سوف أماطل معه ولن أقول رأيي.. قد يغير رأيه ويعدل عن هذا الموضوع.

*في الغرفة الأخرى كان سمير يشعر بالفرحة العارمة لأنه لم يكن يتوقع أن تكون ردة فعل والدته هكذا أبدًا وأخبر لين بما دار بينه وبين والدته... ومن ثم أردف موضحًا للين شيئًا:

- أنا قلت لوالدتي بأنك سكرتيرة المكتب الذي أعمل به.

*ردت لين متفاجئة:

-سكرتيرة؟ ولمَ سكرتيرة؟

- لم أجد ما أقوله إذا قلت أنكِ مدرسة؟ كيف عرفتك إذًا؟

- أنت رجل يا أحمق... لماذا تكذب؟

- هذا ما حدث يا لين.. أرجوكِ اثبتي على ما أقوله لك.

- هل تريدني أن أكذب أنا أيضًا.

- إنها كذبة بيضاء.. اسمعيني.

- لا يوجد كذبه بيضاء وصفراء... يوجد كذب فقط.

- إن لم أفعل ذلك فلن يتم الزواج... اسمعيني.

- هل هذا تهديد أم ماذا؟

- ليس تهديدًا. إني أوضح لكِ ما سوف نقوله لكي نتجاوز هذه المرحلة... وأوعدك ألا يوجد كذب ثانيةً.

*تنهدت لين وتنفست الصعداء وحاولت أن تهدأ وأردفت:

- وماذا تريدني أن أقول غير إنني سكرتيرة مكتب سيادتك.

- ليس بمكتبي ولكن المكتب الذي أعمل به.

- وماذا أيضًا يا مشمهندس.

- أنتِ خريجة تجارة قسم إدارة الأعمال.

-تجارة ماذا؟؟؟ أني لا أعلم ١+١ يساوي كم.

-أرجوكِ اسمعيني... أمي لن تجري لكي اختبارًا.. فقط قولي ما أقوله لكِ.

- وماذا أيضًا؟

- أريدك أن تقولي لوالدك أيضًا بأني مهندس... حتى لا يحدث اختلاف في الكلام عندما يكون موجودًا مع والدتي.

-لا أدري.. سوف أقول لأمي وهي تقول لأبي... أنا سوف أقول لأمي عندما تقول لي الموعد.

انتهت المكالمة ونظرت لين للسقف كالعادة تتأمل وتفكر في ما جرى في هذه المكالمة وقالت في نفسها: "هل هذه كذبة بيضاء حقًّا؟ لماذا أغير مبادئي التي تربيت عليها؟ يا إلهي... إني مشتتة للغاية".

*ظلت لين تفكر في كلام والدتها... أصبح كلام أمها يتردد كالطنين في أذنها ((لا تدعي أحدًا يتحكم بكِ... لا تتركي أحدًا يغير مبادئك... أنت لستِ دمية في يد أحد))

*سرحت لين وتذكرت خطوبتها الأولى على عماد الذي تمنت لو كانت سمعت كلام أمها.

*في شهر يناير من عام ٢٠١٧ كانت خطوبة لين على عماد... تذكرت لين كم كان عماد فظًّا معها كثيرًا... تذكرت ذلك الموقف المحرج عندما قال أستاذ طارق لعماد:

-قم بإشراب العروسة وهي تفعل ذلك لك أيضًا... هذه عادة مصرية في أي خطوبة

قال عماد بأسلوب فظ:

- فلتشرب نفسها أليس لديها يد؟!

وأكمل شرب كأسه وكأنه كان يقصد أن يجرحها ويحرجها...

*حاولت أستاذة نادية أن تسيطر على الوضع بعدما رأت الدموع في عين لين بعد ذلك الموقف المحرج... والذي هوّن على لين فظاظة عماد أن أهل عماد

كانوا بالفعل ودودين للغاية... وكانوا سعيدين بها جدًّا وبأسرتها.. وكانوا عائلة بالفعل متواضعين جدًّا.. على عكس عماد تمامًا.

* مر الوقت وهي تتحمل قسوته وأسلوبه الفظ معها.. ولكن كانت عندما تشتكي لنادية.. تقول لها: تحملي.. هو طيب جدًّا لا يقصد الإهانة لكِ ولكنه من النوع العصبي بعض الشيء.

* قالت لين في سرها: "لن أضيع من نفسي فرصة كهذه من أجل أن "عماد" عصبي فأغلب الرجال عصبيون... المهم أن أتزوج كي لا يقول عني أحد أني عانس.

* بالرغم من أن لين حينها كان عمرها أربعة وعشرين عامًا ولكن طالما كانت تقارن نفسها بمن حولها ومن هم في سنها بأنهن تزوجن والبعض منهن معهن أولاد.

* تحملت الكثير من العصبية من عماد والكثير من المواقف المحرجة فقط لكي يتم هذا الزواج كما خططت نادية..

* تنازلت لين عن الكثير من المبادئ التي تربت عليها بالفعل.. وذلك فقط لكي ترضي نادية ولأنها خائفة إذا أضاعت تلك الفرصة لا تأتي غيرها.. وهذا تفكير خاطئ جدًّا.

* في يومٍ ما كان عماد مدعوًّا في بيت لين... وكانت لين قد أحضرت الكثير من الطعام من أجله لكي توضح له مهاراتها في الأكل... ولكن لسوء حظها سكبت بعض الحساء عليه وهي تمده له كي يجربه أول شيء.

إنها كانت تخاف منه... كان عماد يعيش في دور سي السيد كثيرًا... وبالرغم من أن لين من صغرها علمتها أمها أن تكون مستقلة.. حرة في رأيها.. ولا يوجد أحد يفرض عليها أمرًا ولكن المهم أن تفعل ما يرضي الله ثم ما يرضيها، ولكنها تغيرت تمامًا بعدما عرفت الأستاذة نادية... غيرت من شخصيتها كثيرًا... جعلتها ضعيفة بالفعل، تغيرت لين بعدما ارتبطت بعماد فأصبحت مثل أمينة وهو سي السيد يتعصب وهي ما عليها سوى أن تقول: حاضر يا سيدي..

★أحيانا من شدة رهبتنا للقيام بشيء على أكمل وجه نخسر كل شيء بسبب خوفنا من أننا لن نتمكن من القيام بذلك الشيء على أتم وجه وأتم صورة.

*وقتها كانت لين متوترة تريد أن تظهر أمام سي عماد بأفضل شكل وتقوم بإعداد أفضل الطعام الذي لم يسبق ولو في مرة أن يشكرها أو يقول لها أن أكلك جميل أو تسلم يدك... يومها كانت تريد أن تظهر له أنها مهتمة به أيضًا وتريد أن تطعمه بنفسها، فسكبت بعض الحساء عليه وكان ساخنًا بعض الشيء.

*كانت لين وعماد يأكلان بمفردهما في الصالة.. وفجأة تسمع الأسرة صوت ثور هائج يصدر من الصالة ويقول:

- هل أنت عمياء... ألا ترين؟

*لين في توتر والدموع تنهمر من عينها، قد أصبحت ضعيفة بالفعل بسبب قسوته: أنا آسفة صدقني لم أقصد.. دعني أمسح لك ملابسك.. اعذرني.

*رد عليها الثور الغاضب:

- لا تفعلي شيئًا... إني ذاهب..

وغادر الشقة وسحب الباب خلفه بشدة.. لدرجة أنه صدر في البيت صوت عالٍ جدًّا من إثر ارتطام الباب في الجدار.

كل ذلك حدث في مدة وجيزة، كانت الأم تهيئ نفسها للخروج لكي تعلم لمَ يصرخ ذلك الأحمق... وكيف يخرج من دون استئذان أهل البيت؟

*خرجت الأم وجدت ابنتها منهارة وتبكي.. أردفت الأم قائلة:

- ماذا حدث؟ ولمَ تكلم معك هكذا؟ وكيف يترك البيت بهذه الطريقة ذلك الهمجي؟ سوف أكلم أهله وأحكي لهم ما جرى ولكن بعد أن توضحي لي.

* أجهشت لين في البكاء ولكن حاولت أن تأخذ شهيقًا وتتنفس الصعداء وقالت لأمها:

- لا تقولي شيئًا... لا تقولي شيئًا لأحد.. أنا سوف أحل الأمر.

ومن ثم دخلت غرفتها مسرعةً.. أغلقت الباب بشدة هي الأخرى.

*قالت الأم في عصبية: ما ذنب الباب في عصبيتكم.. سوف ينهار علينا البيت من شدة ذلك الارتطام.

*لين في غرفتها تقول في بالها: "أنا منهارة وأمي تفكر في الباب والبيت.. أمي لا تفكر في شيء سوى غلق الباب بهدوء وملء الزجاجات الفارغة ومن يأخذ القمامة عندما ينزل من البيت، يا إلهي لا يوجد أحد يشعر بما أشعر به".

كانت الأم فاطمة ترغب في أن تدخل وتطمئن على لين بعد هذا الموقف المحرج الذي تم في بيتها.

أحرجت لين من أهلها بعدما علموا بتلك المعاملة القاسية التي يعاملها بها عماد التي طالما حاولت أن لا تقول شيئًا سلبيًّا عن عماد.. لأنه اختيارها.. واللوم سوف يقع عليها.

كانت الأم تهم بفتح باب غرفة لين إلا أن أمل أوقفتها وسحبت أمها لكي تأتي معها إلى غرفتها هي وأردفت:

-صه.. تعالي معي.. لا تحاولي أن تتكلمي مع أحدٍ وهو غاضب أو منهار.. فمن الأفضل أن تتركيها إلى أن تهدأ.. وكلميها غدًا... لأنك إذا تحدثتِ معها الآن سوف تستشيط غضبًا أكثر.. وذلك الفعل سوف يقلل من قيمتكِ يا أمي.. اتركيها وشأنها.

-كيف يعامل ابنتي هكذا؟ وكيف هي كانت ضعيفة هكذا معه؟ أين كرامتها التي علمتها أن تتحلى بها؟

- والله يا أمي لقد حذرتها من بعد تلك الرؤيا التي قلتها لها... وقد طلبت منها أن تصلي استخارة وأن تحترم تلك الرسالة التي بعثها الله إليّ لكي أحذرها.. بأنها في النهاية سوف يسقطها الحصان من عل... هي تظن أن بإمكانها بعدما علمت ذلك التحذير أن تغير مستقبلها... وأن تتفادى أي خطأ كي يتم هذا الزواج... هي لا تعلم أنها لن تستطيع أن تغير إرادة الله أو ما كتبه الله لها.

-صدقتي يا أمل.. هي كان عليها أن تأخذ بذلك التحذير وخسارة قريبة خير من خسارة بعيدة بعد ما يمر وقت ويزيد العشم والثقة فهذا سوف يأثر عليها أكثر.

- احمدي الله يا أمي أن أبي ليس بالبيت.. لكان حصلت مشكلة كبيرة..

*في ذلك الحين كانت لين في غرفتها.. وسمعت كل ما كانت تقوله الأم وأمل في الغرفة الأخرى... فجو البيت كان هادئًا جدًّا وأقل صوت كان يُسمع... قالت لين في سرها: "سوف أحاول جاهدة أن لا يحدث انفصال كي لا يشمت بي أحد.. أمل أختي تريد أن تقنعني بهرطقتها هذه أن أترك "عماد"... لو كانت توجد رسالة من الله لكانت أتت إلي أنا. ولكنني لا أحلم بتاتًا... أمل تحاول جاهدة بأن تظهر في صورة أنها تعلم كل شيء.. وأنا سوف أريها أن كلامها كله خطأ وما هي إلا مجرد هرطقة".

*مر الوقت واستمرت لين في ضعفها كطريقة لكسب عماد أكثر إلا أنها بهذه الطريقة كانت تجعل "عماد" يزيد في إهانتها أكثر ويقسو عليها.

*عندما تهون النفس على صاحبها كيف تكون غالية عند الآخرين؟

عندما لا يضع أحد قيمة وقدرًا لنفسه فلا ينتظر أن يقدره أحد..

من تهون عليه نفسه فقد هانت على كل من حوله..

*كان عماد ينشغل كثيرًا عن لين، وفي أغلب الأوقات عندما كانت تحاول أن تتصل به -لأنه لم يعد يتصل بها كأنه يحاول أن يبدأ في الانفصال عنها- دائمًا تجده مشغولًا.. وعندما كانت تسأله يتهرب من الإجابة أو ينفعل عليها.

* هي تعلم أنه يخونها... هي تعلم أنه لا يحبها.. ولكنها تكذب على نفسها.. وبهذه الطريقة لا تضر إلا نفسها.

*في شهر يونيو ٢٠١٧ وما تبقى على الزواج سوى شهر ونصف، لذا قررت العائلتان أن يهمّا في شراء أساسيات الزواج مثل الأجهزة الكهربائية والأثاث....

*وبالفعل تم شراء الأجهزة الكهربائية والأثاث وتم وضعها في الشقة فكل شيء كان على أهل العريس، هنا شعرت لين أنها بالفعل انتصرت على رأي أمل... بالرغم من أن أمل كانت تقول لها أني أتمنى أن تكون رؤيتي خاطئة وأراكِ سعيدة ويتمم الله لكِ سعادتك.

-بالرغم من ذلك كله إلا أن أم لين لم تكون مطمئنة أبدًا فإن قلبها كان يؤلمها من بعد ذلك الموقف الذي أهان فيه كرامة بنتها... ولو كان الأمر بيدها لكانت ألغت هذا الزواج.. ولكن هي ربت بناتها على اتخاذ قراراتهن بأنفسهن.. بالرغم أنها ترى أن أهل عماد يحبون لين كثيرًا وذلك المستوى الاجتماعي الراقي الذي سوف تعيش فيه ابنتها... وها قد اقترب موعد الزفاف إلا أنها لم تشعر بالأمان بتاتًا من ناحية عماد.

*استمر عماد في جحوده مع لين ... وأصبح لا يرد على اتصالاتها تقريبًا.. وهذا الأمر كان يحزن لين كثيرًا.. وعندما كانت تشتكي لنادية تقول لها:

- لا تكبري المواضيع... هو من النوع الذي لا يحب الكلام كثيرًا.

- ولكن عندما اتصل به أجده مشغولًا أغلب الأحيان..

- قد تكون صدفة.

- هو لا يحبني.. هو لا يريدني.

- إذا كان لا يريدك لما كان أقبل على الزواج بك.. لا تعطي للموضوع أكبر من حجمه.

*في يوم الجمعة من كل أسبوع كان ذاك اليوم المحدد للقاء بين لين وعماد، أحيانا في بيتها ولكن زيارة البيت لم تتكرر بعد ذاك الموقف.. أو يخرجان سويًّا للتنزه في أي مكان.. في بعض الأحيان كان عماد يتخلف عن الموعد... وكان ذاك اليوم تقريبا هي الفرصة لكي تتكلم لين مع عماد.. لأنه لم يكن يرد على أغلب الاتصالات.. وإذا رد يكون الرد مختصرًا.. أو تحدث مشكلة كالعادة..

*في آخر جمعة من شهر يونيو...طلبت لين من عماد أن تقابله كالعادة.. قال لها:

- لن أستطيع أن أترك المحل اليوم... تعالي عندي المحل ونقضي الوقت سويا هنا.

* لم تمانع لين أبدًا فهي أصبحت أمينة بالفعل.. تنفذ ما تسمع وكفى..

*اتصلت لين بعماد وقالت له:

-إني أوشكت على الوصول للمحل..

*عندما دخلت لين رأت "عماد" والفتاة التي تعمل في المحل كان قريبًا منها للغاية بشكل حميمي بعض الشيء.. وكأن عماد كان يقصد أن تراه لين بذلك الشكل..

صدمت لين عندما رأت "عماد" قريبًا من هذه الفتاة.. كانت الفتاة ليست بالطويلة ولكنها تميل إلى الطول أكثر ونحيفة جدًّا وذات ملامح غليظة، لها أنف كبيرة، وشفاه كبيرة جدًّا عيون واسعة لدرجة مخيفة.. وَزِيّها مثل زِيّ بعض البنات المحجبات ذلك الزي الذي يكون فاضحًا أكثر مما يستر.

*في عصبية قالت لين والدموع في عينها:

- ما الذي يحصل هنا؟

*رد عليها عماد بكل ثقة:

- لا يوجد شيء.. كنت أقول لها بعض الأوامر التي عليها أن تنفذها.

-هل من الطبيعي أن تكون معها بهذا الشكل لكي تطلب منها..

*كانت الفتاة تنظر إلى لين في تشفٍّ.. كانت تقف تلك الفتاة مثل وقفة فتيات الليل.. استحالة أن تكون تلك الفتاة بنت ناس محترمين بتاتًا.. كانت تلوك العِلْكة في فمها بطريقة العاهرات وتنظر إلى عماد وتبتسم.. كأنها انتصرت أو نجحت في تنفيذ الخطة.

*قال لها عماد وهو يجلس على مكتبه ويضع ساقًا على ساق:

- هذا أنا وهذا طبعي... إن لم يعجبك بإمكانك أن تقولي لا أريدك وأن تتركي الدبلة وترحلي الآن..

*بهذا الأسلوب شعرت لين أنه يقول لها صريحة: إن كان لك ذرة كرامة فلترحلي.

*قالت لين والدموع تنهمر من عيونها:

- أنت تقصد أنك لا تريدني... تريد أن ينتهي الموضوع مني أنا..

ضحك عماد ونظر إلى الفتاة هاجر التي تعمل في المحل وقهقها سويًّا كأنهما يقولان في سرهما: "يا لها من غبية أو هي تفتعل الغباء". وقال:

-كل هذا ولم تفهمي بعد.. أنا لا أريدك.

*بكت لين أكثر وقالت:

- إن كنت لا تريدني... لماذا أقبلت على الارتباط بي.. هل أنا لعبة بالنسبة لك؟

- "سوف أكون صريحًا معكِ.. أنا ارتبطت بكِ كدرجة سلم لكي أصعد إلى مبتغاي.. عندما وافقت على رغبة أهلي في الزواج منك.. هم من تحملوا مصاريف كل شيء من شقة وأجهزة وأثاث... لأن الزواج فكرتهم ليس فكرتي..

سأحكي لك قصة صغيرة... في يوم أحببت فتاة بسيطة جدًّا لم تكمل تعليمها لظروف عائلتها... وبعد تخرجي من الكلية قلت لوالدي إني أريد أن أتزوج تلك الفتاة فقال لي: لا يمكنك أن تتزوج بتلك الفتاة فهي ليست من مستوانا الاجتماعي ولا المستوى الثقافي حتى.

-ولكني أحبها!

- إن كنت تحبها تزوجها بعدما تعد مستقبلك بنفسك.. إن كنت تريد أن تتزوج من تختارها أنت ونحن لا نراها مناسبة لك.. فلن نساعدك بمليم واحد.

لم أستطع أن أفعل شيئًا وهي سرعان ما تزوجت أحد أقربائها وضاعت مني.. الآن أنا أحب هاجر ولم أستطع أن أقول لأهلي لأن ما سيحدث هو مثل ما حدث من قبل... سوف يرفضون.. وموضوعك أنت والارتباط بكِ لقد جاءني على طبقٍ من ذهب، واستغللت موضوع ارتباطي بكِ لصالحي.. لكي أحصل على الشقة وإعدادها للزواج من حيث كافة الاحتياجات.. الآن وبعد أن حصلت على كل شيء ... لا يوجد داعٍ لوجودك هنا في هذا المكان وارحلي".

*خرجت لين من المحل منهارة تمامًا، تبكي... لا ترى أمامها سوى السواد.. ها هي بعد أن كان زواجها بعد شهر، الآن هي أخذت صفعة في حياتها... تمشي في الشارع وتبكي لا تدري أين تأخذها أقدامها.. بل كل ما فعلته أنها أطلقت قدميها للريح وذهبت إلى حيث لا تدري.

لا ترى أمامها سوى السواد الذي يتخلله وجه عماد برأسه الأصلع وهو يقهقه في تشفٍ وكأنه فخور بأنه كان يلعب بها أو أنه كسر قلبها..

تتذكر كم كانت ساذجة... تفكر في أنها هي من فعلت ذلك بنفسها... هي من تنازلت.. هي من سمحت بأن أحدًا يقل من شأنها وكرامتها أو يقلل من حقوقها..

تتذكر وجه هاجر تلك الفتاة قبيحة الوجه والخلق وهي تلوك العلكة في فهمها بطريقة تثير الاشمئزاز وهي تنظر لها نظرة انتصار عليها..

تبكي في الشارع وهي تتذكر ملامح هاجر التي كانت تقريبا عكسها في كل تفاصيلها.

لين بيضاء جدًّا ذات خدين حمراوين وهاجر فتاة تميل إلى السمرة.

تتذكر وتقول من أجل ذلك كان عماد دائمًا يعيب على لوني ويقول إن لوني هذا ليس جميلًا بل السمار أفضل..

كان يعيب على وجهي الذي يصبح أحمر من أبسط انفعال سواء ضحك أو غضب.

لذلك كان يعيب على جسدي المليء بعض الشيء ولكني لست بسمينة، لأن هاجر نحيفة جدًّا.

كان يعيب على شفتي لأنها صغيرة وهاجر لديها شفتا إسماعيل ياسين.

كان يعيب على طولي الذي يميل للقصر لأن هاجر تميل إلى الطول.

لماذا تحملت إهانته لي؟

كان يعاملني بقسوة كي أفهم ولكني غبية.. أستحق ما جرى لي..

*أفاقت لين من صدمتها، كانت تمشي على البحر لا تدري إلى أين هي ذاهبة، من ثم قررت أن تعود إلى بيتها.

*دخلت البيت وهي تبكي منهارة جدًّا.. فزعت الأم عندما رأتها بتلك الحالة وقالت لها:

-ماذا بكِ يا لين... ماذا جرى لكِ؟

*كانت لين تسمعها ولا تجيبها ومن ثم دخلت مسرعةً إلى غرفتها وقامت بأخذ شبكتها (أي الذهب الذي أهداه إليها عماد في يوم خطبتها) والهدايا وكل شيء يربطها بعماد.. عبأت كل ذلك في حقيبة كبيرة وخرجت من البيت

مسرعة... وأمها خلفها تنادي عليها:

- لين... ماذا تفعلين؟ وإلى أين أنتِ ذاهبة في هذا الوقت؟ وضحي لي يا ابنتي.

*لم تجبها لين... قد قررت لين أن تذهب إلى أهل عماد وتعطي لهم كل شيء يربطها بعماد.

*وصلت لين إلى البيت واستقبلوها ولكن هي كانت منهارة حقًّا.. سألوها:

- ما بكِ وما هذه الحقيبة؟

*قالت لين وهي تجهش بالبكاء:

- هذه الأشياء التي تربطني بعماد... أردت أن أقول لكم: إن كل شيء قسمة ونصيب.

*ردت الأم في دهشة -التي كانت بالفعل تحب لين كثيرًا-:

- كيف يا ابنتي؟ كيف حدث ذلك؟ هل عماد فعل شيئًا يحزنك فقررتِ هذا القرار؟

- لا لم يفعل شيئًا... ولكن كل شيء قسمة ونصيب.

*تركت لين الحقيبة وخرجت من البيت مسرعةً منهارةً... وكانت بنت أصول فعلت بأصلها مع عماد بالرغم من أنه لم يكن يستحق أبدًا ذلك.

*لقد أنهت لين العلاقة مثل ما عماد طلب ذلك.. وبالرغم من أن "عماد" كان هو الذي لا يرغب بها ولا يريدها.. كان من حقها أن تحتفظ بذاك الذهب وتلك الهدايا... إلا أنها لم تعد ترغب في أن ترى شيئًا يذكرها بها.

*وأخيرا لين تذكرت كرامتها..

*هاتف لين يرن كثيرًا أمها تتصل وأختها ونادية..

*أهل عماد أصروا على نادية أن تعرف من لين ما سبب الانفصال.

*ردت لين على نادية بصوت كان مبحوحًا جدًّا من كثرة البكاء من أول اليوم فإن ذلك أرهقها كثيرًا:

- ألو... نادية إني متعبة حقًّا.. سوف أتكلم معكِ لاحقًا...

ولين في سرها تقول: "إني لا أريد أن أكلمها مرة أخرى نهائيًّا... أريد أن أنسى ذلك الكابوس".

- لا سوف تتكلمين الآن... ماذا حدث معكِ؟

*قررت لين أن تنهي كل شيء في نفس اليوم... قررت أن توضح لها.. وتنهي كلامها مع نادية أيضًا.

-عماد قالها لي بصراحة إنه لا يحبني وإنه يحب أخرى ولا داعي لذكر التفاصيل... انتهى الأمر بالنسبة لي وله فلا تحاولي.

-لماذا تسرعتِ يا لين؟

-بعد كل ذلك وتريدينني أن لا آخذ قرارًا... أنت غيرتني للأسوأ.. أنا إنسانة ولي مشاعر وكرامة.

-لم أقصد يا لين ولكن افهمي سأقول لكِ شيئًا...

-لا تقولي شيئًا ولا تكلميني ثانية... كل شيء انتهى... وكل ما جرى بالنسبة لي

صفحة وطويتها.. سلام.

رجعت لين إلى البيت وهي لم يعد بها حيل نهائي لا للكلام ولا للبكاء..

ظلت لين على هذه الحالة في غرفتها.. صامتة تمامًا، لا تتحدث مع أحد، تغيرت ملامحها كثيرًا ونحفت كثيرًا بسبب أنها لم تعد تأكل برغم محاولة أمها لإطعامها..

*على الرغم من أن الأم كانت حزينة على وضع ابنتها لين. إلا أنها حمدت الله كثيرًا أن هذا الزواج لم يتم... لم تكن تتحمل مجرد تخيلها أن تتزوج ابنتها من رجل يقسو عليها ويقلل من قيمتها.. وينزع منها رأيها وكرامتها وحريتها..

كانت الأم فاطمة عندما ترى لين تحاول أن تهون عليها وتدعو الله أن يعوضها بمن هو أفضل منه..

بعد أسبوع أفاقت لين من صدمتها ولكنها لا زالت حزينة..

في آخر شهر يوليو فاتحتها صديقتها مرام في موضوع سمير.. أي بعد مرور شهر على تلك الصدمة... لذلك قررت أن تنسى علاقة فاشلة بعلاقة جديدة..

لين أفاقت من تلك الذكريات... آه يا إلهي الساعة الآن الرابعة فجرًا ولم أنم... لماذا أتذكر هذه الذكريات المؤلمة كل يوم... أريد أن أنسى.. إني أحاول جاهدةً كي أنسى..

★★★

(الفصل السادس)

*في صباح اليوم التالي... جلست لين مع أمها وأختها أمل... وكالعادة الأب غير موجود في البيت فهو مشغول طوال اليوم ولا يأتي إلا متأخرًا جدًّا..

*سألت الأم فاطمة لين: ماذا حدث يا لين؟ هل قررتِ أنت وسمير موعد المقابلة بين العائلتين؟

*كانت الأم فاطمة بمثابة صديقة لبنتيها لم تضع حواجز بينها وبينهما أبدًا.

ردت لين في توتر بعض الشيء:

- حقيقة يا أمي لا أدري ولكنه فاتح والدته وعندما يخبرني بالموعد سوف أقول لكِ.

وسرحت لين قليلًا... ولم تخبر أمها بما طلبه منها سمير بأن تكذب أمام أبيها بكونه مهندسًا.. وتلك الأمور.

أردفت أمل قائلة للين:

- لين في هذه المرة لا تنسي أن تستخيري الله... اعرفي مراد الله.. لو كان خيرًا يسر الله الأمر لكِ.. وإن كان شرًّا أبعده عنكِ دون أي خسارة نفسية مثل التي حدثت من قبل.

أردفت لين في عصبية: بسبب تشاؤمك هذا وذاك الفأل السيئ الذي قلتِه في خطوبتي السابقة انتهت بالفشل.

-أولا أنا لا أقول فُؤُولًا... أنا قلت رؤيا، والرؤيا حق.. هي رسالة من الله... ولن تخسري شيئًا إن صليتِ فقط.

- إن شاء الله سوف أصلي.

-تقولين ذلك كل يوم.. على العموم ربي يهديكِ.. ولكن أريد أن أخبرك شيئًا.. لقد رأيت رؤيا لكِ من ثلاثة أيام... وها قد تذكرت أن أقولها لكِ..

- لو خير قوليها وإن كانت شرًّا فلا تخبريني بها..

-ما هذا؟ إنها رسالة الله بشيء سوف يحدث سواء قلتها أم لا.. أو فسرتها أو لا... يوجد الكثير من الناس يحلمون ولا يعيرون الأحلام بالًا لا بسردها ولا بتفسيرها وتتحقق.. إنها رسائل من الله للحاضر أو للمستقبل القريب أو البعيد..

- وما الفائدة من معرفتها ما دام كذا كذا سوف تحدث؟

-"الفكرة يا لين أن الرؤيا الجيدة تجعلك تعيشين على أمل وثقة أن الخير قادم.. يعني مثلا يوجد شخص يمر بفترة صعبة جدًّا وقد تمكن اليأس منه ويشعر بأن لا يوجد شيء جميل سوف يحدث له... بل لو علم رسالة الله له بأنه عن قريب الفرج وتحقيق المنى لابتهج وعاش تلك الفترة الصعبة على أمل بقدوم فترة جديدة بها العوض.

أو مثلا شخص آخر مقبل على ارتباط أو شراكة أو أي شيء من هذا القبيل وجاءت إليه رسالة من الله بأن هذا الارتباط أو هذه الشراكة سوف تعود عليه بالخسارة أو الفشل.. حينها عليه أن يأخذ هذه الرؤيا على محمل الجد وأنها تحذير له... ما رأيك أنت هل يقبل مثلا على شراكة ويخسر فيها جزءًا من ماله أم من البداية لا يقوم بها؟".

- من الممكن أن تكون هذه مجرد أوهام... وبسبب مجرد حلم يخسر مشروعًا يعود عليه بالربح... أو ارتباطًا يعود عليه بالسعادة..

*صرخت أمل في حنق:

-أمي... خذي هذه البنت من أمامي... تقريبًا هي غبية أو تصطنع الغباء.. ولكني أرجح أنها غبية بالفعل..

-اهدئي يا أمل.. هي لا تفهم في هذه الأمور.. اهدئي حبيبتي.. وقولي لي ماذا رأيتِ؟

-رأيتُ شابًّا يعطي لين معطفًا ولكن في ذلك المكان كانت هنالك امرأة كانت أمه في المنام، وكانت تنظر إلى المعطف بشدة وكأنها لا ترغب من تلك الفتاة أن تأخذه، وبالفعل لين لم تتحمل نظرات تلك المرأة، ومن ثم ذاك الشاب أصبح يدخل غرفة أمه قليلا يرضيها، وغرف أخرى لين بها يرضيها، وتكرر الأمر، ثم في النهاية دخل غرفة الأم ولم يعد إلى لين.

لين سألت أمل: ومن ذلك الشاب وتلك المرأة؟

- انظري يا لين إن كل دلالة لها عدة تفسيرات... ولكن الرموز ها هنا جاءت لكي تدل على أشخاص أنتِ تعرفينهم.. الشاب هو الشخص الذي يريد أن يخطبك (سمير) والمرأة أكيد أمه.. التفسير هنا جاء مباشرةً... الشاب والمرأة ليسا دلالات لأمور أخرى غير ذلك.

- وكيف عرفتِ أن ذاك الشاب هو سمير... أنت لم تريه قط... ولا تقولين إنك رأيت أمه، التي أنا لم أرَها بعد؟

- هذه مجرد رؤيا.. والمهم منها المغزى والرسالة من ورائها.

- وما معناها؟

- الرؤيا تدل على أن ذلك الشاب بالفعل يحاول أن يرتبط بكِ وهو عطوف جدًّا عليكِ.

-ما الذي يدل على أنه صادق هذه المرة؟

- أنا لم أقل إنه من طبعه الصدق ولكن أقصد فقط أنه صادق في أمر الارتباط بكِ، والذي يدل على ذلك بأنه يقدم إليكِ معطفًا ... وفي القرآن الكريم آية تقول ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فكون أنه يعطي لكِ معطفًا فذلك لباس لكِ وفائدة اللباس الستر ونحن نطلق على الزواج سترًا أيضًا... وكونه عطوفًا عليكِ فمن كلمة معطف..

- آه فهمت.

- الآن آه فهمت.. وجالسة تفهمي معنى الرموز ومن قبل لا تصدقين وتفرين

هاربة.

-حسنًا.... أكملي تفسير هذه الرؤيا.

- يبدو أن حماتك المستقبلية تلك.. لن تدعك ترتاحين في حياتك.. هي لا تقبل أن ترى ابنها بعيدًا عنها، أو عطوفًا أو يهتم أو يحب غيرها.. يوجد بعض الأمهات هكذا..

- وماذا بعد؟

-الباقي واضح جدًّا.. والرؤيا من البداية لا تحتاج إلى تأويل لأنها صريحة..

- لا وضحي لي.

- الشاب سوف يحاول أن يرضي الطرفين، أحيانا أمه، وأحيانا أنتِ.. ولكن في النهاية سوف يختفي من حياتك بناءً على رغبة أمه.

- رغبة أمه؟

- نعم هذا معناه... بمعنى ذلك الزواج لن يتم منه سوى ارتباط ومن ثم انفصال..

*استشاطت لين غضبًا وقالت:

- ولمَ لا يتم، ها؟

- ما شأني أنا... مجرد رؤيا.. أقول لكِ لمَ سوف يحدث ارتباط فقط ولا يتوج بالزواج.. ارتباط لأنه تقدم لكِ وبادر بإعطاء المعطف لكِ.. الانفصال وعدم الزواج لأنك لم ترتديه بتاتًا.. وهو اختفى عن ناظرك.

- هل هذا معناه أني سوف أنفصل مجددًا؟

- لن أجزم بذلك فالعلم عند الله... ولكن هذه رسالة قلت أن أخبرك بها..

- ماذا أفعل الآن؟

- كل ما عليكِ صلي وادعي الله أن ينور بصيرتك وأن يبشرك بالخير.. وصلي استخارة في هذا الأمر... وكما قلت لك.. خسارة قريبة.. أفضل من خسارة بعيدة ينبع عنها انهيار تام مثل ما حدث من قبل... حاولي التعلم من أخطائك.

- أنا يئست..

*قالت لين ذلك وهي تبكي ودخلت غرفتها سريعًا.

قالت أمل لأمها:

- أمي ليس لي شأن بها... أنا قلت لها ما رأيت لم أقصد أن أحبطها صدقيني..

- أعلم يا ابنتي أنت قمتِ بما عليكِ وحذرتِها.. وهي عليها اتخاذ القرار هذه المرة.. بأن تصدق أو لا.

* في شهر فبراير عام ٢٠١٨ بعد انتهاء عطلة نصف العام قابلت لين "سمير" في المدرسة وسألته:

- سمير، ماذا فعلت في الموضوع الذي فاتحته مع والدتك... أنا تركت لك فرصه كي تفاتحني في الموضوع خلال كل هذا الوقت.. وبالرغم من أنك تكلمني يوميًا في الهاتف لم تذكر لي شيئًا عن الموضوع نهائيًا.

*توتر سمير وفكر ثم أردف سريعًا:

- سوف أفاتح أمي اليوم مرة أخرى... أنا قررت فقط أن أترك لها فرصة تفكر قليلا.

-هل أنت تنتظر رأي والدتك؟ أليس أنت من سوف يتزوج؟ ما دخلها هي؟ الأم عليها أن تسعد لاختيار ابنها وكفى.

- سوف أقول لك رأيها اليوم ونحدد الموعد... صدقيني إنها لن ترفض..

- هل أمك هي من تأخذ لك القرارات؟

- لا أبدًا... بل أنا أحب أن أرضيها فأفعل لها ما تشاء.

-أختي أمل حلمت بأني سوف أنفصل عنك بسبب والدتك.

- ما هذا الهراء؟ لا يوجد شيء كهذا... ما دمتُ أريد أن أتزوجك لا يوجد شيء يمنعني من هذا... لا يوجد مانع لفعل شيء في الحياة ما دام الشخص يريده بشدة.. وانظري إليّ، ها... هل تصدقيني أنا أم تصدقين مجرد هلوسة أثناء النوم...

- لا أدري ولكني سوف أرى ما سوف تفعله اليوم... أتمنى أن تثبت لي العكس..

*أكمل سمير الدوام وقرر الرجوع إلى البيت وألغى كل ما لديه من دروس خصوصية.. واشترى طعامًا له ولأمه ومن ثم عندما دخل البيت نادى على أمه..

-أمي أين أنتِ؟

- أنا في غرفتي يا سمير... غريبة أتيت مبكرًا اليوم!

*دخل سمير غرفة أمه وكانت أمه ممددة على ذلك السرير الذهبي ذي الأعمدة الطويلة.. وهي تشعر وكأنها الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا راقدة على سريرها الملكي... تلك المرأة غريبة حقًّا تتميز بالأرستقراطية وهي ليس لها أي علاقة بها..

قبّل سمير يد أمه وقال لها وهو يجلس على حافة السرير بجانبها وهو ممسك بيدها:

- قررت أن أرتاح اليوم وأقضي يومًا معكِ... هيا استعدي وأنا سوف أعد لكِ مائدة الطعام..

*طبعًا سمير كان كل تلك فترة عطلة نصف السنة كان يخرج يوميًّا ويقضي يومه بالخارج حتى لا تشعر أمه بأي اختلاف.. فلا يوجد مهندس يأخذ عطلة نهاية نصف العام الدراسي... كان يفعل كل شيء لكي يحبك كذبه على أمه..

بعدما انتهيا من تناول الغداء سويًّا...تردد سمير في أن يفاتحها في الموضوع.. شعر بأن أمه من الممكن أن تحزن منه لأنها سوف تشعر بأنه موجود هنا وفعل كل ذلك من أجل ذلك الموضوع.. ولكن وهو جالس يشاهد التلفاز مع أمه.. وجد أن هاتفه يرن من لين.. لذا قرر سمير أن يفاتح أمه كي يثبت للين صدق نيته..

- أمي أريد أن أفاتحك في موضوع..

تصنعت أمه الغباء وهي تعرف ما يريده سمير منها وقالت: ما هو ذلك الموضوع؟

- موضوع لين يا أمي... الفتاة التي حكيتُ لك عنها... ما رأيك أن نحدد موعد المقابلة ومن ثم تقولين رأيك النهائي؟

- هل أنتَ ما زلت مصرًّا على رأيك؟

- نعم يا أمي... وأعلم جيدًا أنها سوف تعجبك جدًّا... ولكن الرأي رأيك أكيد.

- حسنًا يا بني... سوف تكون المقابلة يوم عطلتك يوم الجمعة القادم.

*قال سمير وهو يطير فرحًا: إني سعيدٌ جدًّا يا أمي بموافقتك.

-من قال إني وافقت؟ ولكني سوف أراها أولًا ومن ثم أقرر..

-حسنا يا أمي كما ترين يا أحن أم في الكون.. إذن سأقول لها على موعد المقابلة يوم الجمعة القادم في بيتها.

- من قال إني أريد المقابلة في بيتها؟

- أليست المقابلة تكون ببيت العروسة يا أمي؟

- أنا لم أوافق عليها بعد... دعنا نقرر أن تكون المقابلة في مقهى أو مطعم... لا داعي لدخول بيتهم وأنا لم أقرر بعد.

-حسنًا يا أمي... سوف أخبرها بذلك.

اتصل سمير بلين وقال وهو مسرور للغاية:

- لين.. ألم أخبرك إني أستطيع أن أفعل أي شيء كي أثبت لكِ حبي وصدق نيتي.

-حسنًا.. ماذا حدث؟

- لقد وافقت أمي.. والمقابلة الجمعة القادمة.

- حسنًا سوف أخبر أمي.

- انتظري يا لين... أريد أن أخبرك شيئًا.

- ما هو؟

- المقابلة سوف تكون في الخارج.. أمي تحب أن تكون المقابلة خارجة عن المألوف.

- لا أدري سوف أقول لأمي..

- لا انتظري سوف اتصل بها أنا وأشرح لها رغبة أمي.

★اتصل سمير بأم لين وقال:

- أهلًا أمي فاطمة.. أعتذر لكِ على تأخري على تحديد الموعد، ولكن حدثت بعض الظروف.. أرجو أن تتفهمي ذلك.

- لا يهمك يا بني..

- أمي أريد أن أقول لكِ أن موعد المقابلة سوف يكون يوم الجمعة القادم.

- بإذن الله يا بني.. ربي يتمم لكم على خير.

- ولكن يا أمي أريد أن أخبرك شيئًا.

- تفضل يا بني.. إني أسمعك..

- إن أمي سميحة ترغب أن يكون اللقاء الأول في الخارج وأن لا يكون بالبيت.

- ولكن يا بني الأصول تقول أن يكون بالمنزل.. هذه عادات وتقاليد.

- ولكن يا أمي ليست مشكلة إن خرجنا عن المألوف..

- اسمع يا بني.. لو الأمر يعود لي.. فليس عندي مانع أن تكون المقابلة بالخارج.. ولكن والد لين صعيدي وأنت تعرف يحب الأخذ بالعادات والتقاليد. لن يوافق أبدًا على المقابلة بالخارج.

- إذًا يا أمي لدي فكرة أخرى.

- وما هي يا سمير؟

- ما رأيك أن تكون مقابلة بسيطة بيني وبين لين وحضرتك وأمي؟

- لا يوجد لدي أي مانع.. كل ما يهمني سعادتكم.. وفي المقابلة الرسمية في البيت سوف نخبر أب لين..

- شكرًا لتفهمك يا أمي.

★جاء موعد المقابلة وكانت في مقهى على البحر.. وأكيد أنتم الآن أصبحتم تتوقعون ما حدث.. فأنتم تعلمون شخصية كل منهم.. فلا داعي لكثرة الثرثرة عما جرى لأنكم تعلمونه جيدًا.

تريدون أن أقول لكم ما حدث... حسنًا.. ولكن بإيجاز.. أشعر بكم... فالقصة بدأت تأخذ حيزًا كبيرًا من الملل والرتابة.

ها هي سميحة تجلس على الكرسي في تكبر... وابنها سمير بجوارها الذي يبدو كالطفل بجانبها بالرغم من حجمه الذي يشبه الدب.. وها هي الأم فاطمة الجميلة.. جميلة شكلًا وجميلة روحًا.. تجلس في تواضع والابتسامة تضيء وجهها البيضاوي المسحوب، كانت الأم فاطمة تفوق جمال ابنتها لين كثيرًا لأن لين أخذت أغلب ملامح أبيها.. بل إن أمها تمتلك أجمل ابتسامة في الكون؛ لديها أجمل شفاه مرسومة تميل إلى كبر الحجم ولكنها ليست لها شفاه إسماعيل ياسين مثل بعض الفتيات في هذا الوقت... تلك الابتسامة التي تبعث على وجهها القمحي نورًا... كم هي جميلة حقًّا ذات العيون السود الناعسة..

★احم احم..

آه قد نسيت أني قلت لكم أني سوف أختصر ما حدث... ولكن جمالها حقًّا لا يوصف وهي كانت أجمل من في هذا المكان.. لذا دعوني أكمل لكم.

★ها هو سمير يجلس بجوار أمه خائفًا من أن يصدر منها أمر فتغضب أم لين أو لين نفسها. ولكن هو قام بأخذ الاحتياطات وقال للين ألا تكترث لأفعال أمه.. هي أم تحب أن تأخذ وضعها أو كما يقولون "بريستيجها".

وضعها في ماذا... وما هو "بريستيجها"؟

صراحة لا أدري... إنها امرأة مصابة ب "مناخوليا" حقًّا.. وكل من حولها يجارونها ويسايرونها ... أظن أن صدمة سمير حبيبها هي من فعلت بها هكذا.

★ ها هي لين ضعيفة الشخصية؛ فعندما يظهر أحد في حياتها يشكلها كما يريد... هي على استعداد أن تتقبل الإهانة من أجل أن تتزوج وتكون مثل

غيرها.. على استعداد أن تكذب من أجل أن تتزوج... على استعاد أن تتنازل عن حقوقها لأجل ذاك الشيء أيضا...

أصبح كل همها أن تكون مثل من حولها... ومن أجل ذلك تتنازل عن كل القيم التي علمتها إياها أمها... ولكن أمها لم تفرض عليها شيئًا.. هي فقط تنصح والاختيار لها.

*لا أدري لماذا تفعل ذلك بعض البنات؟! كل هذا من أجل الزواج.. أم خوفًا من المجتمع.. أم الخوف من سماع تلك الكلمة الجارحة (عانس)؟

الأفضل لتلك الفتيات أن يعلمن أن الذي يريد أن يقول سوف يقول عنك حتى وإن لم يجد فيكِ ما يقوله... سوف يخترع أمورًا عنك كي يتكلم.. فلا داعي أن ترمي بنفسك إلى التهلكة وتتنازلي عن راحتك أو مبادئك أو قيمتك من أجل لقب (مدام) أو ظل رجل.. ماذا؟

ظل رجل... أنا أخطأت اعذروني.. أقصد ظل ذكر... فالرجال قليلون في هذا العصر.

ها هي لين لم تتعلم من خطئها الذي سبق.. وتكرر الخطأ نفسه الآن..

ها هي تجلس في خجل أمام سميحة هانم.. هي ليست بهانم أعرف ذلك.. ولكن كما يقول ابنها يجب أن نعطيها وضعها و"بريستيج" هذه المرأة المجنونة..

تجلس في توتر خوفًا من ألا تعجب الملكة السميحة التي بموافقتها سوف تجعلها أميرة وتتزوج ابنها الأمير السمين ذا الكرش الكبير.

*كانت سميحة تقول في نفسها وهي ترمق لين بكبر: "يا لكِ من فتاة طماعة مجرد سكرتيرة جربوعة تريد أن ترتبط بابني المهندس".

*هذه المرأة سوف تجعلني أصاب بالجنون مثلها.. حتى إن كان مهندسًا ما هو المعضل في هذا الأمر.. هو مجرد مهندس لا رئيس دولة..

ها قد انتهت المقابلة سريعًا ولم تتجاوز ربع ساعة.. نصف المدة كانوا يرمقون بعضهم بعضا في صمت.. ومن ثم قررت أم لين أن تنسحب بحجة أن الوقت متأخر..

هذا ليس اختصار بالمرة... ولكن دعوني أكمل سرد القصة...

★وصلت لين وأمها المنزل، قالت الأم:

- هل أنت يعجبك أسلوب تلك المرأة؟

- لا شأن لي بها يا أمي.. أنا علاقتي بسمير لا بها هي.

- ولكن هي أمه وقد يحدث ما قالته أمل لك في الرؤيا..

- هل تصدقين خرافات بنتك تلك.. لا يعلم الغيب إلا الله..

- ولكنها لم تقل إنها تعلم الغيب؛ إنها رسائل الله لها فيها تبشير وتحذير لنا.

- كل هذا لأنها صادفت مرة وتحققت نبوءتها فتصدقينها.

- لا ليست مرة واحدة.. بل كثيرًا قالت أمورًا سوف تحدث وحدثت بالفعل..

- هل هي نبية كي أصدقها؟

- "لا ولكن لديها بصيرة.. وحتى إن لم تصدقي كلامها.. يعجبك ما حدث اليوم؟ يعجبك أن تري من أمامك ينظر لكِ هكذا؟! أيعجبك علاقة أساسها الكذب؟ إلا الكذب يا بنتي.. لا تثقي في شخصٍ يكذب... من يكذب في أمور بسيطة ليس له أمان.. ما يضمن لكِ أنه يكذب على أمه ولا يكذب عليكِ؟

أنا لا أتدخل في حياتك ولا أجبرك على شيء.. ولكن تعلمي مما يسبق.. ليس عيبًا أن نخطئ.. ولكن العيب ألا نتعلم من الخطأ".

- بسبب كلامكما هذا تسببان لي فألًا سيئًا.

- افعلي ما تشائين.. هذه حياتك لن نقول لكِ شيئًا مرة أخرى.

*دخلت لين غرفتها وسألت سمير في لهفة وكأنها تريد هذه المرة أن تثبت لأهلها عدم صدق نبوءة أمل ولا إحساس أمها تجاه حماتها المستقبلية:

- سمير، ماذا حدث طمني؟

- لا أدري لم تقل أمي شيئًا.. ولكنها لم ترفض.. عندما أعرف سوف أقول لكِ.

- حسنًا يا سمير.. ولكن لم تقل لي ما حدث في موضوع الشقق التي رأيتها الفترة الماضية.

*توتر سمير ثم استطرد: نعم يا حبيبتي.. قد نسيت أن أحكي لكِ بسبب انشغالي في ترتيب موعد المقابلة مع أمي.. لقد رأيت شقة بالقرب من أمي... شقة جميلة واتفقت مع البائع.. وسوف يتم الشراء الأسبوع القادم.. لقد أخذت المبلغ

من البنك وسوف أجعله لشراء الشقة.. والمبلغ الذي أحصله من العمل سوف يكون لتشطيب الشقة والأجهزة الكهربائية.

- وماذا بشأن المهر والشبكة؟

- أنت تعلمين يا لين.. قلت لكِ الشقة سوف تكون من وديعة أبي لي في البنك، وتشطيب الشقة والأجهزة سوف يكون من مرتبي.

- وكيف أقنع أبي أنك لن تدفع لي مهرًا ولن تبتاع لي شبكة (الذهب).

- حاولي معه بأني ما زلت شابًّا وأنا الذي اجتهدت كل تلك الفترة لكي أشتري الشقة لنفسي.

- هل تريدني أن أكذب في أمر الشقة أيضًا.

- هذه ليست كذبة.. ولكن من أجل أن لا تحدث عرقلة في أمر زواجنا نفعل ذلك.

- حقا.. قل لي ألست أنت قلت لي إنك تعمل منذ أن تركت الدراسة أي كان عمرك حينها ١٩ أو ٢٠ عامًا... أين المال الذي كنت تجمعه من ذاك العمل؟

- لم أتوقع في يوم أن أرتبط.. لذا لم أعمل حسابًا لمثل ذلك اليوم.. إلا عندما رأيتك غيرتِ حياتي وغيرتني.. لذا قررت أن أتحمل المسؤولية من أجلك.

- هل تريد أن تقنعني أنك لم تفكر في الزواج أو الارتباط حتى من قبل؟

- سوف أحكي لك ولكنها ليست قصة حب بل كان حب مراهقة..

- احكِ لي..

(الفصل السابع)

كان الحب الأول لسمير لجارته..

بنت الجيران..

لا ليست بنت الجيران.. بل كانت ميار زوجة الدكتور كريم...

كانت ميار ذات ٢٥عامًا جميلة جدًّا ممشوقة القوام متوسطة الطول بيضاء اللون وذات وجنتين ورديتين.. دائمة الابتسام ونظرتها الحانية من عينها الواسعتين العسليتين جعلت من سمير الشاب المراهق يقع في حبها.

كان سمير حينها في الخامسة عشر من عمره أي في الصف الثالث الإعدادي..

بدأ يتعلق بها وينتظر أن يراها.. ويدعو الله أن يلاحظها أمام شقتها أو في الشارع صدفة..

كانت ميار في نفس الدور الذي يعيش فيه سمير لذا كانت شرفتها بجوار شرفة سمير.. ولكنها لم تكترث لنظرات سمير الذي ظل يهيم بها إعجابًا لسنتين..

ها هو سمير قد صار شابا وأصبح يتسم بملامح الرجولة، ها هو قد أصبح يميل للطول كثيرًا وكان حينها لا زال نحيفًا لم يكن وقتها بجسم دب الباندا الذي هو عليه الآن.

وها هو شعر لحيته الذي بدأ في الاستمرار في حلقه كثيرًا.. كي يصبح أكثر خشونة ويتسم بملامح الرجولة بحق.. أو كي يظهر بصورة أكبر من سنه.

ولكن ميار حينها قد أصبح لديها ولدان.. وسمير لم يفهم في يوم هذه المشاعر ما كنهها.. هل هو يحبها حقًا؟ أم لأنه شعر تجاهها بكمٍّ من الحنو الذي يفتقده من أمه.

أحب سمير أن يتقرب من جارته ميار لأنه وقع في غرام عينها ذات النظرة الحانية.

في مرة وسمير في الصف الثاني الثانوي.. جاءت له الفرصة أن يقول لميار جارته عندما وجدها أمام باب شقتها..

- أهلًا أستاذة ميار..

- أهلًا سمير كيف حال والدتك وأختك؟

- بخير.

*ثم توتر قليلًا، ثم قال:

- هل يمكنني أن أتكلم معكِ؟

- أنت تتكلم معي بالفعل يا سمير.

*احمر وجهه سمير خجلًا وغمغم..

- لا أقصد، بل أقصد أن أتكلم معكِ في الهاتف إذا احتجت أن أتكلم معكِ.

★نظرت له ميار وهي تبتسم وهي تفهم مبتغاه ولكن تصطنع عدم الفهم وأردفت: - ها أنا ذا يا سمير إذا احتجتني سوف تجدني؛ فالباب بجوار الباب..

- ولكن..

- اعذرني يا سمير يجب أن أمر.. سلامي لنور وأستاذة سميحة.

*سمير شعر بسعادة كبيرة لأنه تحدث معها ولأول مرة تطول المحادثة عن كلمة أهلًا وكيف حالك.

سمير ظل يفكر بها كثيرًا حتى أصبح قلبه يهيم بها حبًّا لا إعجابًا من بعد تلك المحادثة.

كان سمير في يوم يقف في الشرفة التي في غرفته فرآها. استغل الفرصة وأردف قائلًا: أهلًا أستاذة ميار.

*وردت ميار وهي ترمقه بنظرتها التي تجعل "سمير" يذوب عندما ينظر إليها وردت بلؤم وبابتسامة على ثغرها:

- لا تقل لي أستاذة ميار.. لا أحب أن أشعر أني كبيرة لهذه الدرجة.. أنا مثل نور أختك.. قل لي ميار..

★فرح سمير كثيرًا بأن الحواجز لم تعد موجودة بينهما.. وقال:

- ((حسنا.. ميار))..

قال ذلك وقد احمر وجهه وأذناه من شدة الخجل..

*كانت ميار تعلم ما يشعر به سمير تجاهها فكانت تحاول أن تبتعد سريعًا ولا يطول الحديث بينهما.. حتى لا يسرح سمير بخياله كثيرًا...

أصبح سمير بالفعل يهمل دروسه... يجلس في غرفته طوال اليوم كأنه يدرس ولكن يقضي أغلب الوقت في الشرفة ينتظر أن تخرج ميار له..

كانت كلما ظهرت له يستغل الفرصة ويبدأ في الحديث معها.. وهي كانت تسمع له.

كانت تعوضه عن الحنان الذي فقده من أمه ووجد الراحة والتحدث في أمور لا يحب أن يشاركها حتى مع أخته نور..

مرت الأيام على هذا الحال...

ها هو سمير مشغول بميار.

سمير يهمل دراسته...

سمير يهيم بميار حبًّا...

*طبعا ميار كان لديها وقت للكلام مع سمير فبحكم عمل زوجها الدكتور فهو مشغول كثيرًا.

★جاء اليوم الذي قرر سمير أن يصارحها بحبه وتعلقه بها..

*قالت له ميار وهي تصطنع الغضب وهي تقطب حاجبيها:

- أنا امرأة متزوجة وأنا مثل أختك نور وأصبحنا أصدقاء لكي تحكي لي مشاكلك وأنا أسمعك..

* شعر سمير بالحرج بسبب رفضها وقال لها في أسى:

- أنا متعلق بك كثيرًا... أنت أصبحت لي كل شيء.. لا أفكر بشيء سواكِ..

- لا تحزن يا سمير حتى أنا أحبك.. ومن قال لك أن الإخوة والأصدقاء ليس بينهما حب.. الحب هو مشاعر تجاه كل ما حولنا في الحياة.. ليس مقتصرًا على المرتبطين فقط.

- لا أنا أشعر بمشاعر أخرى تجاهك... ليس مجرد حب عادي... أريد أن أكون قريبًا منك.

- اعذرني يا سمير لدي الكثير من الأعمال في المنزل..

***

غابت ميار عن سمير لمدة أسبوع كان يتعذب وقد اشتعل قلبه بسبب الاشتياق لنظرة من عينها.. وكانت هذه فترة امتحانات وهو لم يدرس جيدًا لأنه كان يفكر بها فقط.

شعر سمير أن ميار سوف تبتعد عنه لأنه صارحها بحبه لها.. ولكن فجأة سمع باب شرفتها قد فتح بعدما أغلق أسبوعًا كاملًا على غير العادة بعدما اعتاد الفترة الأخيرة أن يكلمها كل يوم..

قام مسرعًا إلى الشرفة فرآها.. قال في لهفة:

- أين كنتِ كل هذه الفترة؟

قالت ميار وهي ترفع أحد حاجبيها وتنظر له باستغراب:

- وما شأنك؟

رد سمير بصوت حانٍ وخافض وهو ينظر لعينيها:

- قد اشتقت إليكِ..

- كنت مع زوجي في عطلة.

- هل أنت سعيدة معه؟

- ولمَ لا أكون سعيدة؟

- لا أدري.. هل فكرتِ فيما قلته لكِ؟

- لا أريد أن أفكر يا سمير... هل جننت؟ ليس معنى أني أجلس معك وأسمع لك.. وأهون عليك ما تمر به في حياتك وأعوضك عما ينقصك في حياتك أن تطلب مني أن أحبك هكذا... أنت عزيز عليّ ولكنك مثل أخي الصغير وأحبك حقًّا... ولكني امرأة متزوجة وأحب زوجي ولي أولاد.. هذه أسرتي... لا تدع الأفلام تؤثر عليك. اعذرني يا سمير لا يمكنني أن أستمر في الكلام معك.

- انتظري... أنا آسف... أنا موافق سوف نكون أصدقاء ولكن لا تحرميني من وجودك في حياتي.

* نظرت له وهي ترمقه باستحقار لأنه تمادي في الأمر. وأحبت ميار أن تجعل لهذا الأمر حدًّا.. حتى لا يكبر الموضوع بينها وبين سمير.. وغادرت الشرفة ولم تظهر بها أبدًا بالرغم من أن الشرفة مفتوحة إلا أنها لم تظهر بها أبدًا.

كان سمير ينتظر كل يوم في لهفة أن تخرج ولكنها لم تفعل.. وها هي فترة الامتحانات قد انتهت وسمير أهمل تمامًا دراسته لأول مرة.

عندما طال غيابها قرر سمير أن يذهب إلى شقتها في وقت عمل زوجها..

سمير يطرق الباب في اشتياق وعيناه كانت متعبة جدًّا بسبب كثرة السهر والتفكير بها.. فتحت له ميار، استغربت جدًّا وأردفت:

- سمير؟! ما الذي جاء بك إلى هنا؟ هل حدث شيء في بيتكم.. هل أمك تحتاج مساعدة؟

قال سمير وهو متلهف فقط للنظر إلى عينيها:

- لا يوجد شيء.

قالت ذلك وأصبحت بالتدريج تغير نظرتها من استغراب إلى نظرتها المعتادة التي يملؤها كل الحب والحنان والطيبة.. تنظر إلى سمير الذي أصبحت حالته يرثى لها وقالت: ماذا بك يا سمير؟ ماذا جرى لك؟

- اشتقت إليكِ.. وانتظرتك ولم تخرجي وتتكلمي معي.. لذا قررت أن آتي هنا.. هل يمكنني أن أدخل حتى لا يراني أحد هنا؟

- لا يمكنني يا سمير.

- بل يمكنك.. زوجك يأتي متأخرًا وصدقيني هما دقيقتان وأرحل.

طبعًا هي لديها ولدان: طفل ذو ثلاث سنوات وطفل رضيع.

دخل سمير شقتها وشعر بحنق تجاه زوجها الذي يعيش مع تلك الملكة التي كم تمنى أن يكون هو مكانه.

يا له من مراهق أحمق ولكن دعوني أكمل لكم.

دخلت ميار إلى المطبخ كي تأتي لسمير بشيء يشربه... لحق بها سمير ولم يستطع أن يتحكم في اشتياقه لها... همّ وراءها سمير وضمها من الخلف.. وعانقها بشدة وأردف قائلًا:

- أنا أحبك أنا لا أتخيل الحياة دونك.

ويغمغم وميار في ذلك الوقت كانت تصرخ وتبعده عنها بكامل قوتها تحاول الإفلات منه.. ثم مدت يدها وأمسكت بسكين أمامها وجرحت يده كي يفلتها.. وبالفعل بعد عنها..

قالت له ولأول مرة تنظر له بهذه النظرة التي تملؤها شرارة الغضب والقسوة: اخرج من بيتي.. كنت مخطئة عندما تكلمت معك.. كنت لي صديقًا وأخي الصغير.. كنت أظنك رجلًا تعرف الصح من الخطأ ولكنك مجرد مراهق، لا تميز بين الحب الأخوي والحب بين اثنين مرتبطين.

قال سمير وهو يمسك بيده المجروحة التي تنزف دمًا:

- لا تنكري أنك كنتِ تبادلينني نفس الشعور.

- أبادلك ماذا؟ إني متزوجة يا أحمق؟ اخرج من بيتي ما دمت مصرًّا على هذه الفكرة.

- أنا أصر لأن هذه هي الحقيقة.. ولكن ظروفك تمنعك من أن تحبيني.. ولكنك تحبينني أعلم ذلك.

- أنت ما زلت صغيرًا لا تعلم شيئًا.. ولا تميز الأمور.. الآن اخرج ولا تحاول أن تأتي هنا مرة أخرى..

دفعت ميار "سمير" إلى خارج شقتها وأغلقت الباب في وجهه.. وهو يقف مذهولًا من الموقف غير عابئ بجرح يده.

نزل سمير للصيدلية وعالج جرح يده وقد أخفاه بالضمادة.. رجع إلى بيته وهو مصدوم جدًّا، نادته أمه بصوت عالٍ:

- سمير أين كنت؟ وكيف نزلت دون استئذان؟

رد سمير بصوت منهك:

- كنت أشتري شيئًا.

صرخت أمه منادية له:

- تعال إلى هنا.

دخل سمير غرفتها وهو يحاول أن يمد كمه للأسفل كي يخفي الضمادة التي على الجرح كي لا تسأله أمه..

أردفت أمه قائلة في غضب:

- عندما أتحدث معك تأتي إلى المكان الذي أنا به وتقف أمامي... وماذا كنت تشتري دون إذني؟

قال سمير وهو مطأطئ الرأس: كنت أريد كتابًا من المكتبة ولكن لم أجده.. بحثت في عدة مكتبات ولم أجده متوفرًا.

وكالعادة سمير يكذب في أغلب الأحيان مع أمه.

دخل سمير مع أمه المطبخ كي يساعدها كالعادة ولكن عندما كان يحاول أن يأتي بأحد الأطباق كشف عن ساعده ورأت أمه الضمادة مع أنه حاول مسرعًا أن يخبئ الجرح.. ولكن أمه لاحظته وسألته وهي تمسك بيده في غضب:

- ما هذه الضمادة؟ ماذا حدث لك؟

رد سمير صارخًا معبرًا عن ألمه الشديد لأنها تمسكه من يده التي بها الجرح:

- لا شيء يا أمي.. فقط اتركي يدي إنها تؤلمني... مجرد جرح بسيط... عندما كنت أمشي في الطريق تعرقلت بحجر فسقطت فجرحت يدي..

استمرت أمه في توبيخه كالعادة وهذا أسلوبها في التعبير عن الحب أيضًا بالنسبة لها.. تعبير عن الحب والخوف عليه كذلك.

ها هي سميحة تقسو.. ها هو سمير يستمر في الكذب.

مرت الأيام ولم يعد سمير يرى جارته ميار أبدًا.. أصبح مكتئبًا وانطوائيًّا..

ثم جاء يوم سمع سمير صوت ميار وزوجها في الخارج فعندما رأى من العين السحرية في الباب.. وجد ميار وزوجها وأولادهما ومعهما حقائبهم.

لم يستطع سمير في أن يمنع فضوله، فخرج وسألهما في دهشة:

- أهلًا أستاذ كريم.. إلى أين أنتم ذاهبون بكل تلك الحقائب؟

*رمقته ميار بنظرة أي كأنها تقول وما شأنك ولكن زوجها الدكتور كريم رد مسرعًا وهو يهم بحمل الحقائب إلى الأسفل:

- جاء لي عقد عمل في الإمارات وسوف أعيش هناك أنا وأسرتي.. سلامي لك وللعائلة.. هيا يا ميار كي لا نتأخر.

ظل سمير واقفًا مندهشًا مصدومًا مما سمعه الآن... لم يرفع عينيه عن عين ميار حتى اختفت عن نظرة.

بعد هذه الصدمة اكتأب سمير أكثر.. ولا يفعل شيئًا سوى أن يجلس مع أمه وينفذ أوامرها... ويأكل ويأكل فقط حتى أصبح سمينًا بالفعل..

سمير سمين وانطوائي ومكتئب... وضعيف الشخصية.

*عندما ظهرت النتيجة كان ولأول مرة سمير لا يحصل على مجموع عالٍ ويكون من الأوائل... بل كان بالكاد نجح في تلك السنة. استشاطت أمه غضبًا.. وظلت لا تكلمه فترة طويلة.. ولا تنظر إليه إلا بقسوة لكي تشعره بالخزي والعار على هذه النتيجة.

بعد الذي حدث لسمير مع ميار لم يفكر ثانية في أن يحب... من المدرسة للبيت، ويدرس فقط... يجلس مع أمه... ينفذ أوامرها...يأكل... يأكل كثيرًا... وينام كثيرًا... أصبح يشبه الباندا كثيرًا.

***

طبعًا سمير لم يحكِ للين كل تفاصيل القصة ولكن البعض منها.

سمير يقول للين:

- هذا هو الحب الأول بالنسبة لي... ولكنه مجرد حب مراهقة لا أكثر ولا أقل... وإذا سألتِني عن الحب في حياتي فهو أنتِ... أنت الحب الأول والأخير بالنسبة لي.

* بعدما سمعت لين آخر جملتين من سمير كانا كفيلين بأن ينسياها غيرتها وحنقها على جارة سمير التي كان يحبها.

★★★

(الفصل الثامن)

- لين وسمير في المدرسة في وقت الاستراحة يحتسيان القهوة التي يحبها كلاهما..

نظرت لين إليه وكأنها تذكرت شيئًا وأردفت:

- سمير، لقد مر وقت على آخر مقابلة... متى سوف تأتي والدتك وأهلك لكي يقابلوا أهلي.. اه صحيح وماذا حدث في موضوع الشقة بالطبع أنهيته وتم.. وأرجو منك أن لا تجعلني في كل مرة أن أبدأ معك هذه الأسئلة.

أردف سمير مهدئًا لها:

- اهدئي حبيبتي أنا أدبر كل الأمور لا تقلقلي..

- إذن ماذا حدث؟

- الليلة سوف أشرح لك كل شيء بالتفصيل، لا داعي أن تعكري مزاجك..

- سمير أنت بطيء جدًّا...لو كنت ارتبطت بسلحفاة لكانت أسرع من ذلك.. أنت كلمت والدتي منذ شهر أغسطس العام الماضي لقد أوشكنا على إتمام سنة ولم يحدث ارتباط رسمي كل هذا الوقت.

أسكتها سمير وضعًا سبابته أمام شفاهها:

- صه.. اهدئي ولا تفكري كثيرًا.

كانت لين تعرف جيدًا بأنه يتملص منها.. وأنه شخص غير متحمل المسؤولية بتاتًا... ولكن كانت تقول في نفسها: (لا يوجد بديل).. وعصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة.

ولكن سمير ليس بعصفور! لا يهم.. هي تراه عصفورًا لا شأن لنا!

عاد سمير البيت متأخرًا كعادته.. وأمه كانت في انتظاره كالعادة.. بعدما تناولا العشاء في هذا الوقت المتأخر.. أردف سمير وفاتح أمه مرة أخرى:

- أمي ما رأيك في أن تكون المقابلة بأبي لين الأسبوع القادم؟

- لن أقابل أحدًا.

- كيف يا أمي؟

- لن أذهب إلى بيت هذه الفتاة.

- ولكن يا أمي هذه من اخترتها أنا... وأنتِ لم ترفضيها.

- لن أذهب معك إلى مكان، تصرف وحدك.

- طيب يا أمي أريد شقة.

- وما دخلي أنا... أنت رجل اعتمد على نفسك واشترِ شقة.

- ولكن يا أمي المبلغ الذي معي لا يكفي لشراء شقة في مكانٍ مناسب.

- أنها مجرد سكرتيرة.. لا تبالغ.. اشترِ أي شقة وسوف توافق.

- المبلغ الذي معي لو اشتريت به شقة لن يكفي لشراء الأجهزة وبعض

الأثاث وتشطيب الشقة.

* أردفت الأم في برود:

- إذن تمهل، لمَ تستعجل؟

- يا أمي وما ذنب هذه الفتاة؟

- ذنب ماذا؟ هي لا تحلم أن تتزوجك.. وأقل مدة خطوبة سوف تكون سنة ونصف.. وإن لم تكمل المبلغ المناسب للزواج ستطول مدة الخطوبة سنتين ثلاثًا أربعًا... أنت ما زلت صغيرًا.

- لستُ صغيرًا يا أمي... أنا على مشارف الثلاثين.. انظري إلى شعري الذي قل من الأمام.. أنا كبرت يا أمي.

- حتى أنا كبرت وأريدك معي في آخر أيامي..

- ومن قال إني سوف أتركك.. سوف أظل أهتم بكِ.. ولكن ساعديني في موضوع زواجي..

- لا، اعتمد على نفسك ولا تتسرع..

دخل سمير غرفته ورأى عدة مكالمات فائتة من لين... لم يتصل بها لأنه ليس لديه رد .... لذا قرر سمير أن يتصرف بسرعة.. واتصل بأخته نور:

- ألو...نور.

- ماذا يا سمير هل أمي جرى لها شيء لكي تتصل بي في هذا الوقت المتأخر؟

- لا بل أريدك في موضوع ضروري جدًّا لا يمكنني تأجيله.

- ردت نور وهي تتثاءب: أسمعك يا سمير.. قل ما تريد.

- انتبهي معي يا نور أرجوكِ.. لقد طلبت من أمي أن تشتري لي شقة ولكنها رفضت بحجة الاعتماد على الذات.

- وماذا أفعل لك يا سمير؟

- أنا فكرت كثيرًا حتى وصلت إلى حل.. أنتِ وزوجك لديكما شقة في مكان مناسب جدًّا.. وهي شقة مغلقة.. ما رأيك أن آخذها أنا وآجرها من زوجك؟

- ولكنها ليست للإيجار.. زوجي لا يريد ذلك.

- أرجوكِ حاولي معه.. هذا هو الحل الوحيد... أنا أمامي مدة طويلة لكي أحصل على مبلغ يؤمن لي حياة مناسبة.. ولكن المبلغ الذي معي مناسب جدًّا لترتيبات الشقة من جديد.

- سوف أقول لأحمد.. وسأخبرك برأيه.

- لا أنا أريد أن تصري عليه.. سوف أعتبر أنك موافقة.. وغدًا سوف أكلم أحمد.. فهو صعيدي ويفهم في الأصول جيدًا لن يرفض لي طلبًا أعلم ذلك. آه يا نور لا تنسي أن تجهزي نفسك أنت وأحمد لكي تأتيا معي يوم الخميس القادم لمقابلة أهل لين.

- هل قلت لأمي..

- قلت لها وهي رفضت.. وأنا سوف أتصرف وسوف أكلم عمي عسى أن يوافق ويأتي معي أيضًا.

اتصل سمير بلين لكي يوضح لها ما حدث:

- أهلًا سمير، لمَ لا ترد على اتصالاتي؟

- كنت مشغولًا قليلًا مع أمي.

- ماذا حدث إذًا؟

- أمي حددت موعد المقابلة الأسبوع القادم بإذن الله.

- حسنًا وماذا عن الشقة؟

- بعد مقابلة والدكِ سوف تأتون معي لمشاهدة الشقة في أقرب موعد مناسب لكم.

- حسنًا... وماذا إذا سألك أبي عن موضوع الشبكة والمهر ومثل هذه الأمور؟

- حاولي أن تعطيه فكرة عني قبل أن آتي.. وأهم شيء أنا مهندس.. وأنا شخص معتمد على ذاتي.. لن أستطيع أن أوفر شبكة ومهر صدقيني لأن كل ما لدي الآن وضعته في الشقة فقط... وما سوف أجمعه خلال هذه السنة والسنة القادمة سوف تغطي بقية التكاليف الأخرى.

- ولكن أبي لن يقتنع بذلك؛ شاب عمره ثلاثون عامًا ولم يجهز نفسه لهذه المرحلة.

- عليكِ أن تحاولي من أجلي كما حاولت من أجلك.

قبل الموعد بيوم تجلس الأم فاطمة مع الأب الحاج مصطفى وقالت له:

- يوجد من يريد خطبة ابنتك.

- حسنًا وهل تعرفينه؟

- هو زميل لين في العمل وهو حدثني قبل أن يحدثها وطلب مني أن آخذ موعدًا منك لكي يتفق معك... وأنا قلت له أن ليس لديك سوى يوم واحد فقط غدًا.

- غدًا؟ بهذه السرعة ستكون المقابلة؟

- لا أدري إذا كان لديك أي أيام أخرى... أنت دائمًا مشغول.

- حسنا.. ولكن احكي لي عن ما قاله لكِ؟

- قال إنه مدرس في مدرسة لين ويريد خطبتها وكافة التفاصيل سوف يقولها لك.

- إذًا نادي لي لين؟

جاءت لين وهي تشعر بالخجل من أبيها ولكنّ أباها دخل في الموضوع وسألها:

- لين احكي لي عن هذا الشاب.

- إنه مهندس يا أبي هو أخ لأحد أولياء الأمور الذين أتعامل معهم.

- مهندس؟! ولكن أمك قالت إنه مدرس.

ملامح الوجوم رسمت على وجه لين وتوترت.. وأردفت:

- نعم صحيح يا أبي.. هو كان يدرس الهندسة بالفعل ولكنه لم يحب مجال الهندسة فتركه لكي يعمل في مجال التدريس.

- وهل هذا يعقل يا ابنتي أن أحدًا يترك تعبه عدة سنوات في كلية قمة مثل الهندسة ومن ثم يعمل في مجالٍ آخرَ بعيدٍ كل البعد عن تخصص دراسته؟

- صدقني يا أبي يوجد الكثير هكذا... الكثير يدرسون الطب ومن ثم يتركونه لكي يمارسوا أي عمل حر.

- حسنًا ليس لدي مانع في كونه مدرسًا... ولكن اعتراضي الآن لمَ كذبتِ.. لمَ لمْ تقولي الحقيقة من البداية؟

شعرت لين بالإحراج ونظرت في الأرض بسبب خجلها من هذا الموقف.. وأردفت:

- خفت يا أبي أن ترفضه لكونه مدرسًا... قلت في قرارة نفسي إذا قلت إنه مهندس قد يعلو في نظرك لأنك سوف تراه أهلًا بأن يرتبط بي فسوف يوفر لي حياة جيدة.

- أنا لا أنظر للأمور بهذا الشكل... الرجل ليس بوظيفته.. ولكن الرجل بقدر تحمله للمسؤولية.. وتحمل المسؤولية هو أساس مبدأ الرجولة.

- حسنًا يا أبي سوف تقابله غدًا وتحدد معه بقية التفاصيل.. ولكن أطلب منك يا أبي أن لا تطلب منه شيئًا.. فهو شاب معتمد على ذاته عمره ٢٦ عامًا

فقط (لين تكذب لكي تحسن صورة سمير في نظر أبيها) فلا داعي يا أبي أن تطلب منه شبكة ومهرًا وهذه الأمور.

- ولمَ تتنازلين عن حقك وقيمتك وقدرك؟

- أبي ليس قيمتي بضعة جرامات من الذهب أو بعض الآلاف من الجنيهات.

- أنا لا يهمني إلا أن أضمن لك حقك وأعطيكِ لمن يعرف قيمتك.

- هو إنسان جيد يا أبي فلا داعي لهذه التعقيدات.

- أنت حرة وهذه حياتك... وأنتِ من قررتِ ضياع حقك فلا تلومي أحدًا بعد ذلك.

- أبي أرجو منك أن لا تذكر كونه مدرسًا أمام أمه.

- ولماذا؟

- لأن أمه تعلم بكونه مهندسًا فقط.

- هذا يعني أنه شخص كاذب وهو من جعلك تكذبين علي.

- ليس كذابًا يا أبي هو يفعل ذلك تفاديًا لأي مشاكل.

- يعني الآن أنت تريدين أن تتنازلي عن حقوقك التي تعطيكِ قدرك وقيمتك... وتريدين أن تعطي ثقتك لشخص كاذب.

* أكمل الأب وأردف في غضب:

- لست موافقًا على هذا الارتباط وهيا ارحلي من أمامي.

بكت لين أمام أبيها ولكنها لم ترحل من أمامه بل وقفت أمام أبيها وهي تبكي وعلا صوتها واستطردت: هذا اختياري أنا.. وأنا من سوف أتنازل عن حقي.. وأنا التي سوف أثق في شخص كاذب... بأي حق ترفضون أو توافقون في شأن يخصني أنا وحدي.

رد أبوها في انفعال: لا يصح أن ترفعي صوتك أمام والدك هكذا من أجل أي شخص.. وما دمتِ مصرة هكذا فلتتحملي عواقب اختيارك... هيا اذهبي من أمامي.

ذهبت لين سريعًا إلى غرفتها وأغلقت الباب بشدة كعادتها تعبيرًا عن شدة غضبها أو سوء حالتها.

أتي موعد المقابلة وبالفعل لم تأتِ سميحة للمقابلة مع ابنها، وقد اعتذر عم سمير عن المجيء.. لذا لم يأتِ مع سمير سوى أخته وزوجها فقط.

كانت المقابلة سريعة بالفعل وتم تحديد موعد الخطوبة في أول أسبوع من شهر إبريل وأن الزواج سوف يكون في نهاية العام الدراسي المقبل.

*لم توافق سميحة بأن تكون الخطوبة في بيت لين بل رغبت في أن تكون بإحدى قاعات المناسبات البسيطة على البحر.. وبالفعل تم ما أرادته هي.. مع أن ذلك كان ضد رأي والد لين.. ولكن أبو لين وأمها تنازلا عن كل آرائهما من أجل سعادة لين فقط..

في القاعة تجنب سمير أن يلتقي أبو لين بأمه سميحة خشية أن يذكر أمامها أنه مدرس وليس مهندسًا وهذا سوف يشكل لها صدمة. ومن دون أن يريد سمير ذلك، كانت سميحة بالفعل متجنبة تمامًا من في المناسبة، وتنظر إلى الجميع نظرتها المعتادة المليئة بالكبر وهي تضع ساقًا فوق ساق.

لم يكن بالمناسبة سوى نور وزوجها وأولادها وأهل لين وبعض الأصدقاء.. كانت مناسبة غير مفرحة أبدًا.. وكيف يكون الجو مفرحًا وسميحة البومة هناك.

عندما رأت ابنها في القاعة قالت له وهي ترمقه بازدراء:

- ما هذا الذي فوق رأسك؟ ما هذه التسريحة؟

وظلت ترمق لين طوال المناسبة باستحقار فظيع، مما جعل جو المناسبة مربكًا جدًّا..

لين تسأل "سمير" في قلق:

- سمير، لماذا أمك تنظر إليّ هكذا؟

يرد عليها سمير وهو ممسك يدها مطمئنًا لها وهامسًا في أذنها:

- لا تقلقي صدقيني هذه نظرتها إليّ أنا أيضًا في بعض الأحيان.

انتهت الخطوبة ولم يعجب كلتا العائلتين ببعضهما أبدًا، ولكن لين وسمير هما من يريدان ذلك.

***

عندما رجعت لين كتبت على صفحتها بأنها تمت خطبتها.. فأهل عماد باركوا لها.. فهم بالفعل كانوا يحبونها كثيرًا. ولين بالفعل لم يعد بداخلها أي ضغينة تجاههم..

بدأت لين تسأل أخت عماد على أحوالهم.. فقالت لها بصوتٍ حزين:

- صدقيني من بعد فسخ الخطوبة بينك وبين عماد صارت حياتنا تتوالى عليها المصائب.

- ماذا حدث؟

- "بعد أسبوعين من انفصالك أنت وعماد، ذهب طارق إلى شقة عماد لكي يرى ما بها من ترتيبات، ولكنه حاول فتحها بالمفتاح الذي معه ولكنه لم يستطع.. وهو يحاول فتحه سمع صوت فتاة في الشقة تقول:

- عماد.. هل رجعت باكرًا؟

اندهش طارق عندما سمع الصوت ولكنه لم يرد وفجأة وجد أمامه شابة فتحت الباب بسرعة وبلهفة وقالت:

- عماد... اشت...

لم تكمل عبارتها وصدمت بالذي أمامها.. ظن طارق بأنها فتاة ليل فهي تميل إلى ذلك كثيرًا بسبب تصرفاتها.. ولكن عندما سألها في وجوم: من أنتِ؟

قالت وهي تنظر له في تحدٍّ.. وهي تميل بجسدها ممسكة الباب:

- أنا أعرفك جيدًا... حتى أنت تعرفني.. ولكنك لا تتذكر جيدًا من أنا.

قال لها في غضب وهو ممسك ذراعها:

- قولي من أنتِ.. ليس لدي وقت لألغازك تلك؟

- أنا هاجر زوجة أخيك عماد.

صعق طارق بالخبر ولكنه لم يصدقها وذهب إلى عماد الذي لم ينكر بل أثبت ذلك.. فهو لم يعد يحتاج إلى أهله في شيء، كل شيء يريده فهو بين يديه ففعل ما يحب.

عندما علم أبي الخبر صدم تمامًا.. وأنتِ كما تعلمين فإن أبي كبير في السن ومصاب بمرض القلب.. كانت هذه الصدمة كفيلة بأن تنهي حياته.. ظل في العناية المركزة يومًا ولم يستمر الوضع كثيرًا واستسلم ومات..

كانت صدمة كبيرة لنا... صدمة زواج عماد من دون علمنا.. وصدمة موت أبي... كل هذا الذي حدث كان كفيلًا أن يُدخل أمي في حالة من الصدمة أصبحت لا تتكلم مع أحد؛ هي تشعر أنها في كابوس وسوف تأتي اللحظة التي سوف تستيقظ من ذلك الكابوس فتجد زوجها حبيبها بجوارها.. وابنها المدلل بجانبها تربت على كتفه بحنية وتؤدة".

أردفت لين معبرة عن حزنها فهي بالفعل كانت تحب المستشار محمود كثيرًا: البقاء لله.. تعازي لكم جميعا... وسوف آتي أنا وأمي لكي نراكم ونقوم معكم بالواجب حتى وإن كان قد مرت فترة طويلة.

***

ها هو سمير اتفق مع عائلة لين كي يأتوا معه ويروا الشقة..

أعجبت أم لين كثيرًا بالشقة ولكنها كانت تضع حلم أمل في بالها وفي عين الاعتبار فتذكرت وسألت "سمير":

- سمير يا بني الشقة جميلة حقًّا ولكن هل يمكنني أن أرى عقد الشقة.. أنت تعلم أني أخاف على ابنتي ويجب أن أتأكد من أي شيء يخصها.

نظرت لها لين ورمقتها بشدةٍ وأردفت وهي تكز على أسنانها:

- أمي.. ما دخل هذا الحديث الآن؟

أردف سمير بأسلوب دبلوماسي محنك:

- لين أمك لديها حق.. حسنًا يا أمي عندما آتي إليكم في البيت سوف أجلبه معي وترينه وسوف تطمئني.. لا داعي للقلق.

مر الوقت وسمير يأتي من حين لآخر إلى بيت لين وفي كل مرة تسأله أم لين ولكن كان في كل مرة يتهرب أو يصطنع أنه نسيه... أم لين تعلم أنه كاذب ولكنها تسأله أمام لين لكي تثبت لها أنه شخص غير أهل بالثقة.

ها هي سنة مرت بعد موعد الخطوبة أي قد تبقى على الزفاف شهران أو ثلاثة... وسمير مثل ما هو.. موجود في الضحك والتنزه.. بينما الجد وتحمل المسؤولية.. لا تجده أبدًا.

((أين سمير... أنا لا أراه))

هنا بدأت تقلق لين أيضًا.. بل وبدأت في افتعال المشاكل أيضًا.

كانت عندما تسأله عن الشقة يقول لها:

- إني فعلت الكثير من الترتيبات.. وعندما تطلب منه أن يصور لها لكي يثبت لها.. يتهرب ويفتعل الأعذار.

بالفعل كثرت المشاكل بينه وبين لين بسبب أنه متكاسل جدًّا ولا يضع في عين الاعتبار قرب موعد زفافهما.

قالت له في مرة:

- ماذا فعلت في موضوع الأجهزة الكهربائية دعنا في مرة نخرج معًا ونختارها فلم يعد لدينا وقت..

يقول لها سمير مطمئنًا لها:

- لا يوجد داعي؛ لي صديق سوف يوفر لي أفضل الأجهزة بسعر مناسب وسوف أضعها في الشقة.

بعد فترة لين تسأله:

- أين الأجهزة؟ لمَ لمْ تصورها لي؟

يرد عليها في برودة المعتاد:

- إنها بالفعل في الشقة ولكني لا يوجد لدي وقت فأنا أغلب الوقت في العمل ولا أرجع إلا متأخرًا.

كانت لين تفتعل المشاكل مع سمير بسبب كثرة أسئلة أمها عنه عندما تراها.

في إحدى المرات جلست لين مع أمل وسألتها:

- ألم تحلمي بي مرة أخرى؟

- بلي حلمت بك عدة مرات ولكن لا يوجد داعي من كلامي معك الذي لا جدوى منه..

- لا ليس الأمر كذلك ولكن احكي لي.

- لا يمكنني أن أحكي لكِ... الرؤى ليس مجرد كلام للتسلية... إذا كانت جميلة أخذتِ بها.. وإذا كانت رؤى سيئة تجزعي منها ولا تأخذينها بعين الاعتبار.

★★★

(الفصل التاسع)

(أحلام)

لين تقف في الأوتوبيس ممسكة بمقبض المقعد الذي أمامها لأنها لم تجد مقعدًا تجلس عليه ومن ثم تصطدم بها امرأة من الخلف فيسقط خاتم لين من يدها.. ومن ثم تعاد الكرة مرة أخرى امرأة ما تصطدم بها من الخلف فيسقط خاتم لين من جديد.. لين تحاول أن تلتقط الخاتم من جديد وترتديه ولكنه كان واسعًا جدًّا وهذا الذي يجعله يسقط بسهولة من يدها.

تستيقظ أمل من نومها وتبحث عن أمها.. تنادي عليها:

- أمي، أين أنت؟

- ها أنا يا أمل تعالَي، أنا في غرفتي.

- أمي... أريد أن أخبركِ برؤيا قبل أن أنساها.

- قولي لي يا ابنتي... اللهم اجعله خيرًا.

ثم سردت أمل الرؤيا لأمها.. من ثم أردفت أمها في دهشة:

- وهذا ما تفسيره يا إيمي؟

- هذه الرؤيا تؤول بانفصال لين للمرة الثانية... خطيبها الحالي غير مناسب لها أبدًا... وانفصالها السابق الذي لم تحكِ لنا عن سبب الانفصال هو كان

بسبب امرأة... توجد امرأة دخلت حياتها فكانت سبب الانفصال بينها وبين خطيبها الأول... وهذه المرة سوف يكون الانفصال كذلك بسبب امرأة يا أمي..

تقول الأم في أسى وحزن على ابنتها لين:

- هل سوف تخبرينها بهذا المنام؟

- لا يا أمي فهي مقبلة على الخطوبة ولا أريد أن أحذرها بهذه الرؤيا أبدًا هي تظنني لا أريدها أن تتزوج.. وهي لا تؤمن بالرؤى، هي تعتبرها مجرد هلوسة عقل باطن.

- حسنًا يا أمل.. أنا سوف أحاول أن ألمح لها.. أنا لا أقدر أن أراها تُجرح للمرة الثانية.

***

لين مع أمها في مكان لا أفهم كنهه، تقول لين في لهفة لأمها:

- أمي يعجبني هذا الفستان كثيرًا.

- ولكن يا ابنتي لونه ليس جميلًا.

- أمي أريده.

- حسنًا افعلي ما تشائين.

حاولت لين أن ترتدي الفستان لكنه كان ضيقًا جدًّا عليها.. وقصيرًا أيضًا، عوضًا عن لونه الأصفر.

لين تعبت كي تلبسه وغير مرتاحة وهي ترتديه.. ومن ثم أردفت:

- ما رأيك يا أمي؟

- لا يعجبني..

كانت لين غير معجبة به أيضًا من قرارة نفسها ولكن ذاك هو الفستان الوحيد الذي كان أمامها.

***

الأم فاطمة وهي تجلس بجوار ابنتها أمل التي كانت تقرأ كتابًا عن الميتافيزيقا..

- إيمي، تذكرت لقد رأيت رؤيا اليوم.

- احكي لي يا أمي.

حكت الأم ما رأت وما شعرت به في المنام.

- ما تفسيره يا إيمي؟

- هذه الرؤيا يا أمي تعكس واقعًا... معناها أن لين في قرارة نفسها لا تحب "سمير" بالفعل حتى وإن كانت تظهر عكس ذلك ولكنها قررت أن ترتبط به فقط لأنه الوحيد الذي أمامها.. هي لديها قابلية أن ترتبط بشخصٍ غير مناسب سوف يعود عليها بسبب هذا الارتباط بالتعب والهم والضيق بدلًا من الراحة والسعادة.. هي قررت أن تعيش في تعبٍ مع شخصٍ غير مناسبٍ لها أفضل من أنها تظل عزباء دون ارتباط نهائي.. أنتِ نصحتها أن لا ترتبط ولكنها مصرة على

قرارها.. مجرد رؤيا تعكس الواقع يا أمي فهي ارتدت الفستان وبالفعل تمت الخطبة ولكن التعب سوف تشعر به من وراء هذه العلاقة بعد تمام الخطوبة. لا تقلقي يا أمي فقط ادعي لها.. لأن الكلام معها لا يعود بفائدة.

***

*ها هو سمير وقد أكمل امتحانات العام الدراسي ولم يتبقَّ على زواجه سوى شهرين لذا قرر العودة إلى عمله السابق في إحدى شركات الاتصالات في خدمة العملاء من جديد كي يتمكن من تغطية تكاليف الزواج بدلًا من أخذ عطلة... فلا يوجد وقت للراحة.

نور تلتقي بسمير في بيت أمها بعد انتهاء فترة دوامه:

- سمير أريد أن أفاتحك في موضوع.

- تفضلي يا نور.

- زوجي أحمد لن يستطيع أن يؤجر لك الشقة كما وعدك.. فقد قام ببيعها.

- كيف حدث ذلك؟ وماذا سوف أفعل الآن؟ لا يمكنني شراء شقة.. ولا يمكنني أن أؤجر شقة في إحدى المناطق الراقية فهذا سوف يأخذ مني جزءًا كبيرًا من المرتب.. وأنتِ تعلمين أني أحتاج كل قرش لكي أتمكن من شراء شقة فيما بعد.

- اعذرني يا سمير... الموضوع ليس بيدي..

خرجت نور من غرفة أخيها وهي تشعر بالأسى على حاله...ثم نظرت إليها

أمها في تشفٍّ وقالت لها هامسة:

- أحسنتِ صنعًا يا نور...إن لم تفعلي ذلك لكنتِ قطعتْ صلتي بكِ تمامًا.. ولن تحصلي على رضاي.

أردفت نور وهي مطأطئة رأسها وتشعر بالحزن على أخيها:

- أهم شيء رضاك يا أمي.

- أنتِ تعلمين يا نور أني لم يتبقَّ لي الكثير في الدنيا.. ولا أريد أن أكون وحيدة في آخر أيامي.

- ربنا يطول لنا في عمرك يا أمي..

★سمير في غرفته يشعر بتوتر وحزن وارتباك ليس لديه الجرأة كي يصارح لين.

اتصلت لين بسمير لكي يأتي معها ويختارا إحدى القاعات ووافق سمير. لم تكن لديه الجرأة للمصارحة أبدًا.

نام سمير وهو يفكر في أكثر من أمر: في المبلغ الذي سوف يحصل عليه بعد شهر الذي سوف يمكنه من شراء الأجهزة وبعض الأثاث ولكن المبلغ لن يمكنه من مصاريف القاعة والزواج وشهر العسل، وصار يفكر في الإيجار ولكن المصاريف زادت عليه ولم يعد لديه وقت...ظل يفكر ويفكر إلى أن نام تمامًا.

***

سمير يخرج من شركته بعد انتهاء الدوام وها هو يعبر الطريق ومن ثم تصطدم به سيارة بسرعة هائلة... ودم سمير مبعثر على السيارة وفي كل مكان وسمير عبارة عن جثة هامدة.

*استيقظ سمير مفزوعًا من هذا الحلم.

أصبحت لين هي من تتصل به في أغلب الأحيان... لأن "سمير" بدأ ينسحب تدريجيًّا عندما بدأ يشعر أنه يرغب في تأجيل الزواج... ولكن بعد موضوع الشقة فقد قرر أن لا يتصل ويبعد شيئًا فشيئًا.

ها هي لين تتصل لكي تحدد موعدًا للذهاب لحجز إحدى القاعات... ولكن سمير صوته كان متعبًا للغاية.

لين في لهفة تسأله:

- ما بك يا سمير...هل أنت متعب؟

- متعب قليلًا فلم أنم جيدًا.

- هل يمكنك أن نخرج معًا اليوم؟

- لن يمكنني اليوم... فأنا سوف أعود إلى البيت وأخلد للنوم.

- ماذا حدث معك يا سمير؟ احكي لي.

- لا يوجد شيء مجرد كابوس أرقني جدًّا.

- احكي لي ما هو أختي أمل تفهم في الأحلام جيدًا قد يكون له معنى أو رسالة كما تقول هي.

- قلت لكِ مجرد كابوس.. خرجتُ من مكان عملي وأنا أعبر الطريق فصدمتني سيارة ودمي في كل مكان.

- اللهم اجعله خيرًا.. إن شاء الله مجرد كابوس فقط.

***

*في المساء دخلت لين غرفة أمل كي تسألها على تأويل ذلك الحلم فسمعت أمها وهي تتحدث مع أمل وتقول لها:

- معنى الرؤيا انفصال من جديد!

ولكن عندما دخلت لين قامتا بتغير الموضوع.

سألت لين في دهشةٍ وهي ترفع أحد حاجبيها:

- هل كنتما تتحدثان عني.. قولا لي فيمَ كنتما تتحدثان؟

الأم: لا شيء... اجلسي وتكلمي معنا فأنتِ مشغولة طوال اليوم عنا.

لين: كنت أريد من أمل أن تفسر لي حلمًا.

ردت أمل في تهكم: وهل أصبحت تحلمين أخيرًا؟

- لا لست أنا بل سمير.

وحكت لهما الحلم كاملًا.

- ها يا أمل هل لهذا معنى؟ أم مجرد كابوس؟!

- اسمعي، هو كابوس إن كنتِ لا تؤمنين بفكرة الأحلام ولكن له معنى إن

كنتِ ترغبين أن تأخذي بالرسالة المطوية داخل هذه الرؤيا.

- إذن قولي لي.

- خطيبك سمير يحاول بجد أن يجتاز مرحلة مهمة في حياته كي يصل إلى بر الأمان أي كي يتزوج بكِ بالفعل ولكن عندما يوشك للوصول لهذا الهدف سوف تتوقف حياته وتتعرقل بسبب صدمة كبيرة بسببها سوف يفقد الكثير...خاصة سوف يفقد شيئًا يحبه... سوف يفقدك أنت.

- لا... هو مجرد كابوس وأنتِ تكبرين الموضوع كعادتك.

- إذن لا تسأليني من جديد في هذا الأمر إن لم تحترمي رأيي.

تدخلت الأم مهدئة لهما وأردفت:

- اهدئن يا بنات...اهدئي يا لين، أمل ليست تقول هذا من فراغ.. ولكن بالفعل تكررت الرؤى التي تحمل المعنى نفسه حتى أنا حلمت بكِ عدة مرات وآخر مرة كانت بالأمس.

أردفت لين وهي تنظر لأمها ساهمة وهي خائفة من تحقق كل هذه الرؤى التي كانت تحذيرًا لها ولكنها لم تأخذ بها، يمر الوقت وتتكرر الرسائل كي تفهم لين ولكن لا حياة لمن تنادي وكأنك تنفخ في الزبادي... عذرًا... وكأنك تنفخ في الرمادي.

***

لين وأمها وسمير وأمه في الطريق، وشيء أشبه بالخيط يربط بين سمير ولين، وأم سمير تقطع هذا الخيط وتأخذ "سمير" مبتعدة عن لين وأمها... ومن ثم سمير من بعيد كأنه انفجر تمامًا واختفى من أمام أمه.

أردفت لين وقالت في استهزاء محاولة أن تخفي خوفها الذي بدأ يستقر في قلبها: وما معنى هذا الهراء يا أمل؟

أردفت أمل في لا مبالاة:

- لا شأن لي بكِ... ولمَ ترغبين في أن تعرفي معنى شيء تصفينه بالهراء؟

هدأتهما الأم مرة أخرى واستطردت:

- هدوء يا بنات كفاكن جدالًا، اسمعي يا لين، أمل منذ قليل قالت لي التفسير.. قالت لي في ما معناه أنك سوف تنفصلين عنه بسبب أمه وسوف يبعد عنك بلا رجعة.

- وما معنى الانفجار؟

- أمل قالت لي أن هذا في المستقبل لا يعود على لين ولكن هذا شيء بين سمير وأمه.. سوف يتمرد عليها ويخرج عن طوعها ولن يرغب في رضاها فيما بعد.

نظرت لين إلى أمل متسائلة: هل هذا ما سوف يحدث يا أمل؟

أشارت أمل بيدها بحركات تعبيرية أن لا أسمع.. لا أرى.. لا أتكلم.

***

مرت ثلاثة أيام وفي كل يوم سمير يستيقظ مفزوعًا على الكابوس نفسه: تصطدم السيارة به ودماؤه في كل مكان.

ها هي لين ما زالت متمسكة بسمير بالرغم من الذي علمته، وكررت له رغبتها في حجز القاعة في أقرب فرصة... طمأنها سمير بأنه سوف يستلم مبلغًا يوفر له حجز القاعة.

★سمير لم يخبر لين بورطته.. وما زال يحاول جاهدًا أن يصلح ما أفسدته أمه. اتصل سمير بأخته نور:

- ألو، نور.. أريد منك مساعدة.

- تفضل يا سمير عيوني لك.

- أريد أن أحصل على مبلغ تلك الجمعية هذا الشهر بدلًا من شهر يوليو لأن حجز القاعات يجب أن يكون قبلها بفترة... وأنتِ تعلمِين أني أريد أن أشتريَ الأجهزة الكهربائية في أسرع وقت وإيجاد شقة جيدة إلى حد ما لكي آجرها. وإذا أعطيتِني المبلغ الذي حصلتِ عليه الشهر الماضي -أي حصتها من هذه الجمعية- سوف أكون شاكرًا لكِ ولن أنسى وقفتك بجانبي.

سكتت نور قليلا ثم أردفت في توتر:

- آسفة يا سمير صدقني أن الأمر ليس بيدي... لأن هذا الشهر والشهر القادم سوف تأخذهما امرأة لكي تقوم بعملية ضرورية.. وأنت سوف تأخذ دورها على نهاية السنة في شهر ديسمبر.

تعصب سمير وقال لها صارخًا:

- هل تمزحين يا نور؟ وأنا يا نور وزواجي؟ تلك الفتاة تنتظرني منذ سنتين وأنا أعطيتها كلمة.. لماذا تفعلين بي ذلك؟ تفعلين ذلك بدلًا من أن تساعديني؟ لم أتوقع أبدًا أن تفعلي بي ذلك.

ردت نور حزينة موضحة له:

- صدقني يا سمير ليس بيدي.

أردف سمير حانقًا:

- لا أريد أن أعرف السبب ولا أريد أن أتكلم معكِ ثانيةً.

***

غاب سمير يومين لم يتصل بلين ولم يرد على اتصالاتها ومن ثم تقابلا في المدرسة بالرغم من أنهما في العطلة وذلك كي يوقعا طلبًا بالاستمرار في المدرسة أم الاستقالة وعدم الاستمرار. طبعًا لين قررت بأنها ترغب في التجديد.. ولكنها فوجئت بأن سمير قرر عدم الاستمرار وعندما سألته عن السبب رد قائلًا:

- لم أشعر بالارتياح في مهنة التدريس صدقيني... سوف أستمر في العمل الذي أنا به أفضل.

* أردفت لين في استغراب:

- ولكنك كنت دائمًا تقول لي بأنك ترغب في أن تكون معي دائمًا.. في البيت عندما نتزوج ومكان عملنا هو المكان نفسه... ما الذي غير قرارك؟

رد عليها بغضب: قلت لكِ لم أعد أتحمل فكرة التدريس، لم أعد أحبها.

- حسنًا يا سمير هدّئ من روعك قليلًا. اهدأ يا حبيبي، افعل ما تشاء ولكن قل لي: هل سنخرج اليوم ونحجز القاعة؟

نظر سمير في عين لين وقرر أن يصارحها بعض الشيء:

- اسمعي يا لين قد حدثت ظروف في الحصول على المبلغ الذي كنت سوف أحجز به القاعة وشهر العسل إلى بداية العام القادم. ولو انتظرتِ معي إلى الصيف القادم يكون أفضل.. حينها سوف أؤمن لكِ حياة أفضل ترتاحين بها. هل عندك استعداد أن تنتظري معي؟

- انتظر ماذا؟ الأمر ليس بيدي.. أنت تعلم جيدًا أن أبي كان غير مقتنع بك.. وأعطاك مهلة سنة ونصف كأقصى مدة.

غضب سمير ولم يستمر في إقناعها: اسمعي يا لين.. أقول لكِ شيئًا أفضل... سوف أنهي تلك العلاقة التي تربطنا... أنت لا تستحقين إنسانًا فاشلًا مثلي.

صدمت لين ونظرت إليه في دهشة والدموع في عينها تحاول أن تمسكها وأردفت: لم أقل إنك فاشل صدقني... وأنا يمكنني أن أساعد معك في مصاريف الزواج ولا أريد شهر عسل ما رأيك؟

تنظر له لين والدموع تسقط من عينها ممسكة بيد سمير وتقول:

- هيا يا سمير قل لي ما رأيك؟

كان سمير شارد الذهن... كان يقول في قرارة نفسه: "وإن ساعدتني في الزواج كيف سوف أشعر بأني رجل مسؤول عنها... أنا فاشل بالفعل... وإن أخذت منها بعض مصاريف الزواج من أين أحصل على بقية التكلفة، تكلفة الشقة والأجهزة، أثاث.... الخ.. إني أخذت قرارًا خطأ بأن كل ما جمعته كل هذه الفترة ليس معي وائتمنت نور عليه.

لين تنادي عليه وهي تبكي ممسكة بذراعه برفق:

- سمير قل لي ماذا حدث؟ رد علي.

رد سمير في لا مبالاة لم تفهم لين سببها: انظري يا لين.. لم يعد لدي حل... صدقيني أنت لا تستحقين شخصًا مثلي أبدًا... أتمنى لكي حياة جميلة... ومتأكد بأن الله سوف يعوضك بمن هو أفضل مني.

صرخت لين في غضب وهي تبكي واستطردت: ماذا تقول أنت؟ ماذا حل بك؟ الآن تقول لي إنك لا تريدني وتستغنى عني بمنتهى البساطة... ولمَ ارتبطت بي من الأساس ما دمت تعرف نفسك أنك إنسان فاشل.. أنا صدقتك وظننتك رجلًا.

رد سمير بنبرة حزينة بالفعل وهو مطأطئ رأسه.. شعر أنه ليس لديه عين لكي ينظر إليها ويدافع عن نفسه:

- صدقيني إنني حاولت ما بوسعي أن تكوني لي ولكن الله يعلم ما حدث.

هدأت لين ولكنها ما زالت تبكي والدموع تنهمر من عينها وتمتمت:

- إذًا احكِ لي يا سمير ما حدث.

- لم يعد ينفع الكلام... لقد تكلمت كثيرًا ولم أستطع في النهاية أن أفعل شيئًا.

* تعصبت لين من برود وعدم قدرته حتى أن يوعدها حتى ولو بالكذب وكأنها قد اعتادت أن تطمئن بالكذب أفضل عندها من الصراحة والحقيقة المؤلمة.. نظرت له نظرة ازدراء وكره ورمت الدبلة في وجهه وقالت:

- أنت لست رجلًا... أنت ابن أمك... لم يكن أبوك موجودًا.. لو كان موجودًا لكان علمك ما معنى الرجولة والمسؤولية.

وتركته خلفها وهي تبكي عائدة إلى المنزل.

* دخلت البيت منهارة تبكي.. سألتها أمها في قلق:

- ماذا بكِ؟ لمَ تبكين هكذا؟

- لا شيء يا أمي.. لقد انفصلت عن سمير.

- وما السبب؟ هل أمه هي السبب؟

- لم يذكر لي السبب.. انفصلنا وانتهى الأمر.. لا أريد أن أسمع اسمه.. ولا أريد أن أفكر في أمر الزواج بتاتًا..

- اهدئي يا ابنتي وسوف يعوضك الله لا تقلقي.

***

عاد سمير إلى بيته وجد أمه تشاهد التلفاز كعادتها وتنظر إليه في تشفٍّ عندما رأته مكسورًا أمامها... تسأله في تهكم -وقد رسمت ضحكةً خبيثةً على جانب فمها-:

- ماذا حدث يا سمير؟

رد عليها سمير في غضبٍ ولكنه يحاول أن يتمالك أعصابه:

- "الذي حدث أنت تعلمينه جيدًا... الذي حدث هو ما كنتِ تريدينه أن يحدث... أنت لم ترغبي في أن تساعديني في الزواج.. ولم تدعي نور تساعدني بشقتها... حتى مالي الذي جمعته كل هذه الفترة أكيد أنت من قلتِ لنور أن تقول لي هذه القصة. أقول لكِ شيء يا أمي... أنا لن أسامحك".

ردت أمه بعصبية كعادتها وأردفت صارخة:

- تقول لأمك لن أسامحك من أجل فتاة يوجد غيرها الكثير...تقول هذا لأمك التي لا تمتلك سواها.. لا أعلم لمَ أنت متعجل؟ كل ما في الأمر أنني أريدك معي في آخر أيامي.

- لست متعجلًا.. صدقيني لم أعد أرغب في شيء.. أتريدينني معك صحيح؟ ها أنا ذا معك.. ولكن أنا بالفعل أشبه بالميت.

***

في مساء نفس اليوم اتصل سمير بأم لين الأستاذة فاطمة، قال لها في توتر وخجل كبيرين:

- أمي فاطمة.. أطلب منك أن تسامحيني.. صدقيني الله يعلم بأن كل ما حدث ليس بيدي.

* ردت الأم بهدوء:

- صدقني يا بني لا ألومك، ولكن اللوم على أمك التي لم تتمكن في أن تفعل كل ما بوسعها كي تظهر ابنها رجلًا أمام الناس.

- لا أستطيع أن أدافع عن نفسي بشيء ولكن أدعو الله أن يأتي لين من تسعد معه، مع إني حاولت كثيرًا أن أسعدها وكنت أتمنى أن تكون من نصيبي.. ولكن لا يوجد نصيب.

- لا تقلق يا بني.. أنا واثقة في إرادة الله.. أعلم أنه سوف يعوضها خيرًا.

★★★

(الفصل العاشر)

عاد سمير إلى طبعه السابق عندما يصدم... تحول إلى شخصٍ انطوائي بالفعل... لا يفعل شيئًا سوى الذهاب إلى عمله في صمتٍ، وبقية يومه في غرفته ينام أو يأكل مع أمه جسد بلا روح.

***

في شهر سبتمبر ٢٠١٩ عادت لين إلى العمل من جديد كانت بمفردها بالفعل... لم يعد لها رغبة في التحدث مع أحد... لا تفعل شيئًا سوى أنها بمفردها.. سارحة تتذكر سمير ومواقفه معها في كل مكانٍ في المدرسة... أصبحت لين تكره المدرسة جدًّا لأنها تذكرها بسمير.

*أفضل شيء تغير في لين بسبب تلك الصدمة الأخيرة أنها تقربت إلى الله... أصبحت تصلي... تقرأ القرآن.. وغيرها من العبادات... تغيرت تمامًا... بعد أن كانت مسلمة بالاسم فقط.. ها هي الآن تغيرت ١٨٠ درجة.. ولم تعد تشغل بالها بالزواج تمامًا لما لحق بها من أذى بسبب هذا الموضوع..

***

لين واقفة في الشرفة تنظر إلى السماء الصافية وهي مبتسمة والقمر مكتمل تمامًا، كان بدرًا منيرًا لها.

★تستيقظ أمل من نومها ومن ثم تقول لأمها في لهفة وسعادة:

- أمي لقد رأيت للين رؤيا بسيطة ولكنها ذات معنى جميل.

- قولي لي يا ابنتي، اللهم اجعله خيرًا.

ثم حكت أمل ما رأت وقالت لها التفسير:

- هذا معناه يا أمي أن لين سوف ترتبط برجل ذي مكانةٍ عاليةٍ وسوف ينير لها حياتها وهي سوف تسعد معه كثيرًا.

- يا رب يا إيمي... ربي يسمع منك يا ابنتي..

***

*في شهر نوفمبر اتصل خال لين الدكتور أشرف بأخته فاطمة واطمأن عليها وسألها عن أولادها وعلم منها أن لين لم تتزوج بعد ولم يكتمل زواجها.. لذا قرر أن يطلب لين لابنه مهدي الذي يعمل مهندس بترول في الكويت. رحبت فاطمة بفكرة أخيها أشرف ولكن طلبت منه أن يترك لها مدة لكي تفاتح ابنتها لين..

عندما رجعت لين إلى البيت فطلبت منها أمها أن تأتي إليها لكي تتكلم معها:

- لين ابنتي، أريد أن أفاتحك في موضوع... خالك أشرف يريد أن يطلب يدك لابنه مهدي.

- وما شأني بمهدي هو لم يرَني سوى مرات معدودة.. أنت تعرفين يا أمي أني لست مع الزواج بهذه الطريقة.

- ولكنه يا ابنتي مستواه جيد سواء التعليمي أو الاجتماعي.. وهو ذو خلق ودين وحافظ للقرآن.

- ولكنه ليس في مصر.. سوف يظل عمره كله مثل خالي في الخارج ولا يأتي لزيارة أهله إلا أيامًا معدودة في السنة.. وأنا لا أريد أن أبعد عنك.

- ابنتي فكرّي جيدًا.. هذه فرصة جيدة لكِ... وموضوع البعد عنا هذا كان في السابق... الآن يمكنك رؤيتي فقط بضغطة زر على الهاتف أكون أمامك مكالمة فيديو... كل شيء تغير الآن وكل شيء أصبح سهلًا.

- لا أدري يا أمي.

- اسمعي يا ابنتي لا تتعجلي.. خذي وقتك، هذه المرة أنصحك أن تستخيري الله فيه.. وما يريده الله سوف يقدمه لك.

***

*لين ولأول تسمع كلام أمها وصلت استخارة..

في اليوم التالي قالت لين لأمل في تحدٍّ:

- لقد صليت مثل ما تقولين ولم أحلم بشيء.

- وهل أنا قلت لكِ أن كل من يصلي استخارة يحلم.

- حسنًا أنا قررت أن لا أقرر أنا في هذه المرة.. سوف أجعل أمي تأخذ القرار في هذه المرة.

- ها الآن رأيتِ هذا القرار بداية تأثير صلاة الاستخارة عليكِ... عموما قرار أمك سوف يكون صائبًا لكِ بإذن الله.

***

اتصلت فاطمة بأخيها أشرف وقالت له إنها موافقة لذا قرر أشرف أن يحدد أقرب فرصة للعودة إلى مصر هو وأسرته لكي تتم الخطبة.

في خلال تلك الفترة تعرفت لين على مهدي وبالفعل أعجبت به وهو أعجب بها.

كان مهدي شابًّا متوسط الطول أسمر اللون نحيفًا بعض الشيء له لحية ليست بطويلة ولكن ليست بمحددة وخفيفة، ذا شعرٍ ناعمٍ أسود فاحم، وضحكة جميلة مرسومة على وجهه طوال الوقت.. ذا أسنان ناصعة متساوية وهذا يضفي جمالًا أكثر على ضحكته.

و بالفعل في شهر يناير من عام ٢٠٢٠ تمت خطبة لين ومهدي وبالفعل عوضها الله بمن يعرف قيمتها فقد وعدها بأن تعيش معه في شقةٍ كبيرةٍ في مجمع سكني راقٍ في الإسكندرية، ولكن الاستقرار أكثر سوف يكون حيث مكان عمله في الكويت، ولكن "مهدي" طلب منها شيئًا بأن تترك العمل وتتفرغ لحفظ كتاب الله وفهمه ولا داعي للعمل لأنه سوف يؤمن لها حياة مرفهة، وأن تغير من لبسها وإنه يحبذ لو ترتدي النقاب.

شعرت لين بأن الله عوضها بالفعل بشخصٍ محترمٍ ومتعلمٍ وذي مكانة حافظ لكتاب الله يخاف عليها لا يحب الكذب... لين لا تصدق أن هذا جزاؤها.

كل ذلك فقط لأنها لم تعد تفكر في شيء... كل ما فعلته هو القرب من الله. والتوكل عليه تمام التوكل... الله الذي بيده كل شيء.. الله الذي على كل شيء قدير قد قال لما تتمناه لين كن فيكون.

ولكنها ترددت قليلًا من فكرة تغيير لبسها ولكن في النهاية وافقت على ارتداء النقاب بالرغم من رفضها لهذه الفكرة في البداية.

★في أول يوم من شهر يناير عام ٢٠٢١ كان يوم زفاف لين ومهدي.. كان زفافًا كبيرًا ولكنه كان إسلاميًّا نظرًا لتدين عائلة مهدي.

سافرت لين مع مهدي إلى الإمارات ولبنان وفرنسا خلال فترة شهر العسل. قد وعدها مهدي بأنه سوف يجعلها أسعد إنسانة في العالم.

★لم تنتهِ سنة ٢٠٢١ إلا وفي شهر أكتوبر رزقت لين بثلاث توائم.

فرحت العائلة كلها بالثلاث توائم الملائكة.

أسماهم مهدي: فاطمة -على اسم عمته أم لين وأيضًا لأنه اسم بنت الرسول- وخديجة وعائشة لكي يكُنّ قدوة لبناتهن؛ هن أمهات المؤمنين.

*عاشت لين حياة سعيدة مع مهدي وأسرتها الصغيرة الجديدة تلك.. وعلمت لين جيدًا أن القرب من الله غير حياتها إلى الأفضل... وأن الإنسان لا يستطيع أن يغير ما كتبه الله له.. فكم تجاهلت رسائل الله لها محذرًا إياها ولكنها

كانت تستمر محاولة أن تغير من النتيجة... ولكن لن يستطيع الإنسان مهما كان أن يغير إرادة الله.

علمت أيضًا أن بعد الصدمات إذا توجهنا إلى الله وصبرنا ولم نجزع سوف يعوضنا الله بما هو خير وسوف يكون بالفعل: إن بعد العسر يسرًا.

بالقرب من الله لا يوجد داعٍ للتمني فقط عليك بالدعاء والثقة في الله بأنه بكلمة: "كن" منه قادرة على تحقيق مرادك.

***

في شهر فبراير عام ٢٠٢٠ قرر سمير بعد الانتهاء من العمل أن يذهب إلى أحد المقاهي ويقضي به الوقت الباقي من يومه ولا يعود إلى الشقة إلا على وقت النوم وكفى بدلًا من الرجوع إلى الشقة فور الانتهاء من العمل وقضاء بقية اليوم في النوم أو غرفته فقط.

*في إحدى المرات وهو جالس في المقهى يحتسي القهوة ويدخن بشراهة رأى صديقه "مراد" الذي كان يعمل معه في المدرسة... حاول سمير أن يتحاشى النظر إليه... ولكن صديقه قرب منه وسحب لنفسه مقعدًا معه دون استئذان وبدأ يطمئن على سمير ويعرف أخباره:

- سمير يا صديقي... أين أنت؟ حاولتُ الاتصال بك كثيرًا... ولكن هاتفك مغلق دائمًا.

* رد عليه سمير ببرود وهو ينفث دخان السيجار في وجه مراد:

- لقد غيرت رقمي.

- هل أنت مرتاح في عملك الجديد؟

- لست مرتاحًا... ولكن مجرد روتين لكي أنهي يومي وأبدأ في يومٍ جديدٍ أكرر فيه الكرة نفسها.

قرر مراد -مثلما لم يرحب به صديقه الترحيب الذي كان يتوقعه وبعد أن نفث سمير الدخان في وجه وحديثه معه ببرود - أن ينغص عليه بخبر:

- ألم تعرف؟ لين تمت خطبتها لشخص من عائلتها مهندس بترول وذي مستوى مادي عالٍ وسوف تعيش معه في مجمع سكني راقٍ ويعمل بالخارج لا أتذكر أين ولكن هي دولة من دول الخليج.

صدم سمير.. وقام بإطفاء السيجارة في فنجان القهوة وتظاهر بالنظر لساعته.. وأردف:

- أعتذر منك يا مراد... لدي موعد مهم الآن.. يجب أن أرحل.

هكذا ارتاح مراد.. كانت نيته جيدة عندما رغب في التحدث مع سمير ولكن سمير جنى على نفسه..

مراد استغرب كثيرًا بكون سمير يدخن.. بعد أن كان لا يطيق رائحتها..

سمير تغير تمامًا

***

رجع سمير إلى شقته.. وجد أمه تنتظره لكي يأكلا معًا كالعادة.. ولكنه أردف:

- لا أريد أن آكل الآن؛ قد أكلت في الخارج.

- أنت لم تعد تحبني يا سمير... حتى لم تعد تجلس معي... والآن لا تأكل معي.

- "ألست أنتِ من كنتِ ترغبين أن أكون معكِ.. ها أنا ذا معكِ... أنا معكِ بعد أن خسرت حبيبتي التي لن تخسري شيئًا أن أحببتها.. بدلًا من أنا أهتم بك.. كنا معًا اعتنينا بكِ.. نعيش في سعادة.. ولكن أنت لا تفكرين بي بأن لي حياتي الخاصة... أنت تظنين أني امتداد لكِ... طالما أنت موجودة في الحياة يجب عليّ أن أكون معكِ ولكِ فقط.

كل شيء في الدنيا له حدود... وكل شخص في الدنيا له حقوق وعليه واجبات...ها أنا الآن رجل حقي أن أتزوج وتكون لدي أنا أيضًا أسرتي الخاصة.. وعليّ واجب أن أهتم بكِ ولا أقصر في حقك بتاتًا".

ظلت سميحة لا تتحرك، لا تتكلم، تشعر بأن شريط حياتها يدور أمامها من جديد.

تتذكر "سمير" الذي تركها وجرحها وهي لم تعتد أن يرفضها أحد...

اعتادت على التقدير ممن حولها.

اعتادت أن تكون هي المسيطرة، هي من تمسك زمام الأمور... (من هو سمير كي يقرر ويتركها) هذه الصدمة تسببت في تعزيز عقدتها ألا وهي تعزيز وتقدير الذات بشكل مبالغ به... وحب السيطرة على من حولها وإجبارهم على تنفيذ

مرادها فقط... وأن تكون هي محض الاهتمام... لذا قررت الزواج في أقرب فرصة كي تظهر له بأنها مرغوب فيها ممن هو أعلى منه شأنًا... بل قررت بالفعل أن تكون هي المسيطرة في علاقتها الزوجية فغضبها وصراخها وعصبيتها يشبعن عقدتها وغريزتها النرجسية بحب السيطرة.. لذا قررت أن تنجب لكي يكون لها أتباع هم لها فقط، يحبونها هي فقط، يرضونها، يسمعون كلامها... لا يوجد لهم أدنى فرصة للاستقلال في حياتهم أو اتخاذ قراراتهم.

تحكمت في نور كثيرًا ولكنها تركتها تتزوج لأنها لم تكن رغبتها من البداية أن تنجب بنتًا.. بل رغبتها أن تنجب ذكرًا وتسميه "سمير" الذي طالما أحبته ولكنه جرحها... أحبت أن يكون لها نسخة مصغرة منه تشكله كما تحب... تنشئه على حبها وأن تكون كل اهتماماته هو حبها هي فقط والاهتمام بها عن أي شيء سواها.. ولا يبعد عنها لأي سبب من الأسباب.

تتذكر وتقول في قرارة نفسها: "بعد كل ذلك وبعد تحكمي فيه ها هو يلومني... ها هو يخرج عن طوعي... وقل حبه واهتمامه بي.. إني أخسر كل شيء".

★ها هو سمير يقف أمامها ينادي عليها في لهفة وخوف... وهي مصدومة واقفة أمامه تتنفس بصعوبة ولكن كبرياؤها تمنعها من إظهار تعبها.

سمير يصرخ والدموع في عينيه:

- أمي ماذا حل بك؟ هل تسمعينني؟

تنفسها صار أصعب وأصعب، تشعر بألمٍ في صدرها يمتد إلى ذراعها الايسر.. تمسك ذراعها ومن ثم أغمي عليها.

استيقظت سميحة ولم تعرف أين هي... مستغربة قائلة:

- أين أنا... سمير... كيف أتينا إلى هنا؟

- لا تقلقي يا أمي... أنت بخير.. يومان فقط سوف أجعلك في العناية كي أطمئن أنكِ أصبحتِ بخيرٍ تمامًا.

- ماذا حدث لي؟ ماذا قال لك الطبيب؟

- لا شيء يا أمي مجرد تعب ويجب أن ترتاحي.

خرج سمير بعد أن اطمأن على أمه.. تحدث مع الطبيب كي يكتب له العلاج المطلوب لحالة أمه.. لم يذكر الطبيب سوى بعض أدوية الضغط لأن حالتها تلك كانت بسبب ارتفاع في ضغط الدم فأثر على تنفسها وشعورها بألم في صدرها.. وبالنسبة لألم ذراعها الأيسر ذلك بسبب زيادة ضخ الدم في الأوعية الدموية مما أثر على جدران شرايين القلب... ولكن الطبيب طمأنه أنها بالفعل بخير ولا تحتاج سوى الراحة.. والبعد عن التعب النفسي.. وأن تظل في حالة نفسية جيدة.

★خرجت سميحة من المستشفى، وسمير ونور معها بجانبها لم يتركاها لحظة.

سمير رجع كما كان... يهتم بأمه ويحبها.. بعدما رأى أنها كانت عرضة بأن تموت بسبب أنه قال رأيه ولأول مرة في حياته..

*حاول سمير أن يبحث على الإنترنت لكي يفهم أكثر عن حالة أمة وطبعها.

علم سمير أن عصبية أمه المفرطة، وغضبها المستمر، ورغبتها في السيطرة وحب التملك وتدخلها المفرط في حياة أولادها وسبب تكبرها وغرورها على كل من حولها وغير ذلك من صفاتها التي ذكرناها كل ذلك بسبب النرجسية..

تعود كلمة النرجسية إلى أسطورة يونانية تقول إنه كان هناك شاب وسيم جدًّا، آية في الجمال وقد عشق نفسه حتى الموت عندما رأى وجهه في الماء.

*النرجسية خلل نفسي أكيد بسبب تقدير الذات بشكل مبالغ فيه وهذا يحدث نتيجة شعور المصاب بالنرجسية بالنقص في قرارة نفسه بسبب موقف ما ولكن هو يحاول أن لا يظهر نقصه للآخرين وذلك بالغرور والتكبر والاهتمام بالشكليات.

*السبب في تغير سميحة هكذا وتغيرها إلى امرأة نرجسية متغطرسة أنها كانت في البداية إنسانة تحب تقدير ذاتها بالشكل المعقول ولكن لم تفكر في لحظة أن أحدًا يرفضها ويتركها... هذا صدمها... يوجد أشخاص بعد صدمة مثل ذلك يشعرون بعدم الثقة في النفس من جديد وعدم الثقة في من حولهم أيضًا وأنهم يستحقون أن يستغنى عنهم من حولهم.

ولكن يوجد أشخاص آخرون يتعاملون مع مثل هذه الصدمة (صدمة أن يتخلى عنهم من يحبونه) يتعاملون مع هذه الصدمة بطريقة الإنكار.

أنا لا يستغنى عني أحد... أنا من أستغنى... أنا مرغوب في من الجميع... يتعاملون مع الصدمة بصيغه الأنا...تزيد عندهم تقدير الذات بشكل مبالغ فيه إلى أن تصل إلى النرجسية أي الأنا وحب الذات وتسخير من حولهم من أجلهم

والسيطرة عليهم كل ذلك من أجل سعادتهم فقط.

*علم سمير السبب في إغماء أمه عندما صارحها ببعض الأمور التي بداخله.. هي تحب أن تشعر بالحب والاهتمام وتقديرها عندما شعرت أنها فقدت السيطرة صدمت وهذا عرضها إلى تلك الحالة.

فكر سمير بأن يأخذ أمه إلى طبيب نفسي... ولكن فكرة الطبيب النفسي ما زالت مرفوضة في مجتمعنا... إذا قلت لأحد أني أريد الذهاب إلى طبيب نفسي.. يقول هذا يعني أنك مجنون. لذا قرر سمير أن لا يصارح أمه برغبته في أن يأخذها للعلاج عند طبيب نفسي... وقرر أن يتقبلها كما هي.. يهتم بها.. يحبها.. كي يشبع لها رغبتها النرجسية المسيطرة..

***

في شهر مايو عام٢٠٢٠ سمع سمير في منتصف الليل صوت ولدين مراهقين وامرأة تأمرهما بأن لا يحدثوا ضوضاء لأن الناس نيام.

ومن ثم سمع صوت الشقة التي بجواره يقفل بابها..

طبعًا سمير سمع ذلك لأنه كان ساهرًا كعادته.. ظل يفكر.. ما سبب ذلك الصوت؟ تلك الشقة كانت مغلقة منذ أكثر من ثلاثة عشر عامًا.

* ظل يفكر طوال الليل... وتذكر جارته ميار.. ظل يفكر ويتذكر إلى أن غلبه النعاس..

استيقظ في الصباح على صوت شرفة الشقة التي بجواره تفتح..

استغرب سمير... هل ما يسمعه حقيقي؟ وهل هي ميار حقًّا... أم سكان جدد؟

هم سمير مسرعًا من سريره وذهب إلى شرفته لكي يرى من بالشرفة التي بجواره.

رأي سمير فتى مراهقًا جميلًا جدًّا ذا شعر مجعد وابتسامة جميلة تبعث البهجة لكل من يراه... وله عيون سوداء ونظرة تذكرها سمير... تذكر عيون ميار... تلك النظرة التي توحي بالأمان عند النظر إليها.

عندما رأى سمير الفتى الوسيم، لم يتمالك نفسه ولم يستطع منعها من أن يسأله:

- أهلا... أنا جارك سمير... ما اسمك أيها الفتى الوسيم؟

نظر إليه الفتى وعلى وجهه البشوش تلك الابتسامة المبهجة:

- أنا أكرم بن الدكتور كريم.

هنا سرح سمير وسعد جدًّا في قرارة نفسه.. هنا علم أن من في الشقة هي ميار وأولادها.. ولكنه تعجب؛ لم يسمع صوت الدكتور كريم بالأمس.

قرر سمير أن يرتب نفسه سريعًا ويكون في شكل مقبول.

سمير يرن جرس الشقة المجاورة... وقلبه يدق.. يرتب نفسه ويجهز كلاماته على أمل أن من سوف تفتح الباب هي ميار.

فتح الباب فتى قصير ويميل إلى السمرة وله نفس الشعر المجعد الذي يملكه أخوه أكرم ولكن هذا الفتى لم تكن ترسم على وجهه تلك الابتسامة الهشة البشة... وأردف وهو ينظر إلى سمير باستغراب:

- من أنت؟ وماذا تريد؟

علم سمير أن هذا الابن الأصغر لميار ابنها إياد.. وأردف:

- أنا جاركم سمير.

سمع أكرم صوت سمير على الباب فأتى مسرعًا مبتسمًا قائلًا:

- أهلًا جاري العزيز... أصبحت عزيزًا لأنني تعرفت عليك من نصف ساعة، وأنت أول من تعرفت عليه في مصر.

نظر سمير إلى أكرم البشوش، لذا ضحك على كلامه وأردف:

- حتى أنت من الآن أنت صديقي العزيز.. حتى إياد صديقي أيضًا.

نظر إليه إياد وعلى وجهه نفس ملامح الاستغراب متسائلًا:

- كيف عرفت اسمي؟

- إني أعرفكما جيدًا.

لم يكمل سمير كلامه لأنه سمع صوت ميار منادية:

- أكرم.. إياد.. ماذا تفعلان ومن على الباب؟

ومن ثم جاءت أمامه.

نظر إليها سمير وهو مندهش بها بالفعل...لم تتغير بتاتًا... نفس الجسم ونفس الشكل.. ونفس النظرة الحانية.. بالرغم من أن عمرها أربعون عامًا وأكثر قليلا فهي تكبر "سمير" بعشرة أعوام.. ولكن شكلها يدل على أنها في نفس عمر سمير أي ٣٠ عامًا فقط

ثم أفاق سمير من دهشته وقال:

- أهلًا أستاذة ميار.

نظرت إليه ميار في دهشة مستغربة تمامًا من شكل سمير الذي تغير تمامًا؛ جسمه بدين ولحيته كثة.. تذكرته من توتره وطريقة كلامه (أستاذة ميار) بتوتر.

رسمت الابتسامة على وجه ميار فانفرجت أسارير سمير وأردفت:

- أهلًا سمير تفضل أنت لست غريبًا.. لا يصح أن تظل على الباب هكذا.

سرح سمير وتذكر آخر مرة دخل هذه الشقة وحدث ذلك الموقف الذي نهى الكلام بينه وبين ميار.. ولكن الآن ميار مطمئنة أنه لا يمكنه أن يتعرض لها بشيء ما دام أولادها أصبحوا كبارًا.

أعدت ميار فنجانين من القهوة وجلسوا في غرفة الجلوس واعتذرت ميار عن أن المكان ليس مرتبًا.. وبدأ سمير في سرد كل ما حدث معه خلال كل تلك المدة في ثلاثة عشر عامًا... كأنه ما صدق أنه وجدها كي يحكي لها ما جرى له... يشعر معها ما يفتقده في أمه.. كان يحتاج من أمه أن تسمع له أكثر من أن يسمع لها هو طيلة الوقت.

لو كانت تعلم أمه أنها إذا كانت تسمع له كان سوف يقدر احترامها لرغبته لذا في بعض الأحيان سوف يسمع لها هو أيضا.. كان يريد من أمه أن تكون أمه وصديقته. تلك الصديقة التي يحكي معها كل ما يجري معه وكل ما يدور في باله دون أن يخاف وأن يلجأ للكذب. ولكن بسبب حدة طبع أمه الصارم الآمر الناهي.. وجد في ميار طبع الأمومة الحانية وطبع الصديقة الودودة التي تسمع لك في أي وقت أكثر مما تتكلم هي.

كما قلت سابقًا عندما يتعب المرء نفسيًّا يحتاج من يتكلم معه ويسمع له أكثر ممن يعطي نصائح وأوامر.

بعدما انتهى سمير من الكلام عن نفسه سألها عن زوجها الدكتور كريم.

ردت عليه ميار والدموع في عينها بأن الدكتور كريم قد توفي في حادث لذا قررت العودة إلى مصر والاستقرار هي وأولادها في بلدها.. لم ترغب في الاستمرار في العيش في بلد غريب دون زوجها.

حزن سمير على حزن ميار.. ولكنه في قرارة نفسه كان سعيدًا جدًّا.. شعر بأن الأمل يتجدد من جديد بداخله.

شعر بأن هناك سببًا لحياته.

بعد أن خطبت لين ولا يوجد طريقة للرجعة.. ها هي ميار حبه الأول قد عادت إليه.. وكأن الله رتب كل ذلك كي تعود له ميار من جديد.

زوجها يموت.. هو ينفصل عن لين.. كل تلك المواقف مؤلمة على ميار وسمير.. ولكن كما يقولون رُب ضارةٍ نافعة.

بالفعل سمير أحب لين كثيرًا.. ولكن كانت مجرد حبيبة فقط... لم تعوضه في لحظة عن إحساس الأمومة الذي يفتقده. ولكنه شعر مع ميار بإحساس أنها أمه التي تحتويه وصديقته وحبيبته.

وكذلك ميار كان زوجها الدكتور كريم أكبر منها بخمسة وعشرين عامًا هي أحبته ولكن كانت تشعر في أغلب الأحيان بأنه ابوها الذي يوفر لها حياةً جيدةً مستقرةً ولم تشعر بعطفه عليها بأنه حبيبها بل بأنه أبوها الذي يحنو عليها.

كانت حياتها معه تعجبها جدًّا ولكن كانت تشعر ببعض النقص ومن ثم تتذكر أن لا يوجد شيء كامل في الحياة.

ولكنها وجدت في سمير الحبيب والصديق ولكن منذ ١٣ عامًا أزالت الفكرة من بالها حتى لا تهدم بيتها بنفسها من أجل فتى مراهق يصغرها بعشرة أعوام.. هي فكرت بأن ما يفعله سمير بسبب مراهقته لذا قررت أن تضع له حدًّا. ولكن الآن الوضع تغير تمامًا.. ها هو سمير أصبح رجلًا ناضجًا يهتم بها ويتقرب إليها من جديد وهي تقبلت قربه منها في هذه المرة.

مرت الشهور وسمير يكلمها يوميًّا، ها هي حبيبته عادت إليه من جديد. صديقته التي تسمع له أكثر مما تتكلم.. ليست تلك الحبيبة الثرثارة الآمرة بعدة أوامر.

سمير بدأ يتغير تمامًا عندما شعر بالأمان بوجود ميار في حياته.. بدأ يقلل من أكله ويذهب إلى الصالة الرياضية.. وأقلع عن التدخين الذي بدأ يشربه عندما شعر أن حياته قد تدمرت وتحولت إلى هلاك... ولكن الآن وقد عاد

أفضل مما سبق.. توقف عن كل العادات السيئة. كل هذا فقط لأن نفسيته مرتاحة تماما.. يجد من يهتم به...بدلًا من عمره الذي ضاع وهو الذي يهتم هو بالذي يحب.. تغير عندما شعر بأن هناك من يبادله الحب بنفس القدر وأكثر.

*طبعًا أمه سميحة مستغربة من التغير الذي طرأ عليه.. ولكن طوال تلك الفترة لم يقصر سمير معها في شيء... لأن ميار تعطي له جرعة من الحب والاهتمام فيكون له طاقة أن يعطي الحب أيضًا لمن حوله.

ميار تشحنه بالطاقة الإيجابية لكي يكون قادرًا على العطاء لمن حوله.

★في عام ٢٠٢١ في شهر مارس.

اتصل سمير بميار وقال لها: إني أرغب في مقابلتك ضروري.

لم تتأخر ميار وأتت إليه في مقهى راقٍ على البحر.. وفاتحها في الموضوع مردفًا: ميار أريد أن أصارح أمي برغبتي بالزواج منك.

★دهشت ميار وتصنعت الخجل واستطردت:

- ولكن يا سمير أمك سوف ترفض.. كما تعلم إني أرملة وأم لولدين.

- ولكني أحبك وأريدك ولن أضيعكِ من يدي.

- ولكن أنت تعلم أمك.

- "سوف أحاول معها.. وسوف أتزوجك مهما كان ردة فعلها.. لن أجعل حياتي رهن تصرفاتها مرة أخرى.. أريد أن أشعر معكِ بكل المشاعر التي حرمت منها.

أمي تريدني فقط ذاك الفتى الصغير الذي يظل معها مهما تقدم العمر.. ذاك الفتى الذي لا يبدي رأيًا.. يسمع كلامها ويعيش من أجلها فقط.. ليس لدي أدنى مانع من أن أظل أحبها وأهتم بها.. هي أمي وأحبها حقًّا.. ولكن أريد أن أعيش الحياة بكافة مراحلها.. لا أريد أن أظل مكاني مقيدًا بعقدة أمي ورغبتها النرجسية في تملكني والتحكم بي. معكِ أشعر بكل المشاعر التي أحتاجها، أنت سوف تكونين نِعم الزوجة.. وأحن أم لي.. وأقرب صديقة إلي.. حتى أولادك أشعر بالمسؤولية تجاههم. ذاك الشعور الذي أفتقده كثيرًا أن أكون مسؤولًا.. بل وإني أشعر مع أولادك بشعور الأب الذي لم أجربه قط. أنتِ ستعوضينني عن كل المشاعر التي تنقصني".

*أردفت ميار في توتر وتنظر إليه وعينها تملأها الدموع:

- سمير أرجوك.. لا تقل لأمك.. لا أحب أن أكون سببًا للمشاكل بينك وبينها. أنت تعرف أن أمك تحبك بجنون.. ولن ترضى أن تبعد عنها.

- سوف أقنعها.. وشقتي سوف تكون أمام شقتها.. لن أبتعد عنها كثيرًا.

★أمسك سمير يد ميار ونظر في عينيها الدامعتين الخائفتين.. وأردف مطمئنًا لها:

-لا تقلقي يا حبيبتي لا يوجد شيء في الدنيا سوف يبعدك عني.. أنت لي وأنا لك رغم أنف أي أحد.

***

عاد سمير إلى شقته، قام بكل ما يفعله كل يوم مع أمه.. تناول معها الغداء وشاهد معها التلفاز يقبل يدها ورأسها من حين لآخر.. يسخر معها من الناس كما تحب هي أن تسخر.. يمجدها لأنها تحب التمجيد.. ومن ثم وهو ممسك يدها قال لها:

- أمي... هل تعرفين جارتنا ميار؟

*دهشت الأم من السؤال.. لأن سميحة امرأة "براوية" لا تكوّن علاقات مع أحد.. أردفت مستحقرة سيرتها:

- ما بها تلك المخبولة التي تظن نفسها صغيرة ولا تحترم سنها؟

- أمي، هي ليست بكبيرة هي فقط ٤٠ عامًا.

أردفت سميحة في عصبية:

- وما شأنك بها؟ لماذا تسأل عنها؟

أردف سمير بكل ثقة وهو ينظر في عين أمه مباشرة:

- إني أحبها يا أمي وأريد الزواج منها.

تعصبت سميحة ووصلت لأقصى مراحل الغضب وقالت صارخةً:

- هل جننت؟ هل تريد أن تتزوج امرأة في عمر أمك؟

- أولا هي أكبر مني بعشرة أعوام فقط.

- هل تدافع عنها وتغلط كلامي؟

- أمي لا تجعلي السن هو السبب لرفضك.. إذا كان السن هو السبب لمَ رفضتِ لين وفعلتِ كل ما تستطيعين فعله كي لا يتم زواجنا.

- أنت ولد لا تفهم مصلحتك.. لين كانت مجرد فتاة لا تستحقك وأنت تستحق من هي أفضل.

- حسنًا إذا كان على المستوى فإن ميار مستواها جيد جدًّا وحتى شكلها حسنٌ.. ما اعتراضك الآن؟

- اعتراضي أنها أرملة ولديها أولاد وتكبرك سنًّا.

- أمي.. صدقيني هذه المرة أنا لا أسألك رأيك.. لأني تأكدت أن أي فتاة سوف أختارها سوف تظهرين بها عيبًا لكي أظل بجانبك، ملكًا لك فقط تأسرينني كأنني طفل أسمع الكلام مهما يمر عمري أمامك.

- وماذا سوف تخسر أن ظللت معي أنا فقط أنا أمك، أنا من تعبت من أجلك.

- ومن قال لك إني سوف أبعد عنك.. شقتي أمامك ولن يتغير شيء وأنا وميار سوف نهتم بكِ.

- أنا قلت رأيي وإن خرجت من هذا البيت وقررت الزواج منها فأنت لست ابني ولن أرضى عنك نهائيًّا.

- هل سوف تظلين تهددينني هكذا مثل الطفل إن لم تفعل كذا فسوف أفعل كذا؟ أمي.. أنا كبرت.. أنا رجل.. انظري إلى الحياة بشكل صحيح.. كفاكِ

ذاك التفكير النرجسي.. لا تفكري في ذاتك فقط.. فكري بي أيضًا. اجعلي سعادتي هي سعادتك.

- على آخر عمري تقول لي إني مريضة يا سمير... ومن أجل ماذا؟ امرأة! ارحل يا سمير من بيتي واعلم إنك إن تزوجتها لن أرضى عنك... ارحل من بيتي.

***

ظل سمير مشحونًا بطاقة غضب كبيرة.. يريد أن يستمر في التعبير عن تمرده على أمه... يريد أن يستمر عاكفًا على احتجاجه على تحكمها وسيطرتها.. لذا اتصل بمیار أن تعد نفسها وأنه سوف يذهب لشراء فستان بسيط وراقٍ لها وشراء بدلة له... ومن ثم أرسل الفستان على عنوان ميار وهو ذهب إلى صالون ورتب شعره ولحيته وارتدى بدلته واتصل بالمأذون.. وأخته نور وزوجها.

من ثم تم الزواج وكتب الكتاب...نور كانت سعيدة لسعادة أخيها ولكن قلبها لم يكن مطمئنًا على أمها.

حتى أكرم وإياد كانا سعيدين بسعادة أمهما.. كانا يعتبران "سمير" صديقهما أكثر من كونه مسؤولًا صارمًا يصدر قرارات.. بل هو صديق مقرب لهما..

ومن ثم قام سمير ممسكًا يد ميار وخرجا من الشقة لأنه قرر أن يكون أول أسبوع لهما في الزواج أن يقضيه في أحد الفنادق الراقية على البحر.. ولكن قبل أن يرحل من أمام الشقة طلب من نور أن تزغرد زغرودة عالية كي تسمعها أمه.

*ترددت نور خائفة أن تحزن منها أمها.. ولكن سمير كرر الطلب.. فزغردت نور وهي مرتبكة مختلطة المشاعر بالفرح لسمير والحزن على حزن أمها وخائفة من تجرح أمها بهذا الفعل.

ومن ثم مضى سمير بعروسته ميار وذهبا إلى الفندق وهذا كان أسعد يوم في حياة سمير لأنه وأخيرًا استطاع أن يكون مسؤولًا عن نفسه وعن حياته وقراراته وأيضًا أصبح مسؤولًا عن أسرة.. شعر أن كل النقص الذي كان في حياته قد اكتمل.. بالرغم من أنه كان يشعر ببعض الألم الذي ينغص عليه فرحته لأنه تحدى أمه.. كان هناك صوت بداخله يقول: "ما كنت فعلت ذلك إن كانت أمي وافقت... ما كنت فعلت ذلك إن كانت أمي احترمت رأيي ورغبتي.. لم أكن لأجرحها إن كانت تظن سعادتي سعادتها".

أفاق سمير من شروده.. وقال في قرارة نفسه: "لا داعي للندم فقد حدث ما كنت أريده.. لا أحب الندم على شيء قد مضى.. عليّ أن أسعد بقراري وبحياتي الجديدة مع ميار.. يجب أن أفكر في ما يسعدني".

بعدما ذهب سمير وزوجته ميار إلى الفندق.. أخذت نور وزوجها أحمد بالطرق على باب أمها كي تزورها وتطمئن على حالتها؛ فقلب نور لم يكن مطمئنًا نهائيًّا.

*ها هي نور تطرق الباب وزوجها يرن الجرس.. ولكن لا يوجد أي رد، كانت تظن نور أن أمها لا ترغب في فتح الباب لها.. لأنها غاضبة منها.. ولكن نور طلبت من زوجها أنها لن ترحل إلا بعدما تطمئن على أمها.

ظلت نور عاكفةً على الباب تطرق الباب وترن الجرس لمدة ساعة ولكن دون جدوى.

نور لم يكن معها مفتاح الشقة وقلبها يؤلمها ويزيد قلقها على أمها... طلب منها زوجها أن يرجعا شقتهما لأن الوقت قد تأخر... على أن يأتيا غدًا ومعهما المفتاح وقتها تكون الأم سميحة أصبحت في حال أفضل.

لم توافق نور على رأيه ولكن طلبت منه أن ترجع إلى بيتها حالا وتعود من جديد إلى أمها..

أصر أحمد على رأيه وقال لها: غدًا بعد انتهاء الدوام سوف نأتي معًا لزيارتها.

وطمأنها بأن أمها سوف تكون في حال أفضل غدًا. ضمها وقبل رأسها وقال لها مطمئنًا إياها بأن لا تقلق.

في اليوم التالي أتت نور وزوجها أحمد إلى الأم سميحة... وقفت نور وقلبها يخفق بشدة غير مطمئنة على أمها.. وعالجت الباب بالمفتاح ومن ثم دلفت إلى الداخل مع زوجها.. تنادي على أمها.. ومن ثم وجدت أمها لا ترد.. ولكن وجدتها نائمة في غرفتها.

نظر إليها أحمد وقال: قلت لكِ أنها بخير.. هي لا ترغب في التحدث مع أحد.

ردت عليه نور بأنها سوف تقوم بإيقاظها.. من بعيد تبدو أمها أنها نائمة ولكن عندما اقتربت نور لم ترَ حركة لصدر أمها يدل على التنفس... لم يكن صدر أمها يعلو ويهبط بل كان مستقرًا تمامًا.

توترت نور ووصلت لمرحلة الإنكار لما يدور في خلدها من ظنون. اقتربت أكثر كي تتحسس نبض أمها ولكي تشعر بأنفاسها.. ولكن لا يوجد نفس ولا نبض.. وصلت نور للمرحلة الثانية وهي الغضب، بدأت في الصراخ على زوجها أحمد وقالت صارخةً: أحمد... أمي لا تتنفس يا أحمد.

وأحمد يهدئها وهي لا تهدأ وتزيد في صراخها متسائلة:

- ما معنى ذلك يا أحمد... لمَ أمي لا تتنفس؟

* أحمد يهدّئ من روعها وهي تزيد في غضبها صارخة عليه وهي تضربه بيدها على صدره تدفعه للخلف ممسكة قميصه قائلةً في غضب: قلت لك إني أريد أن أدخل لها... قلت لك إني أشعر بأن أمي جرى لها شيء.. قلبي كان يؤلمني عليها... وأنت لم تصدقني.

يستمر أحمد في تحمل ضرباتها ويهدئها وهي بدأت تنهار باكيةً وخرت على الأرض هاويةً تبكي بحرقة متمتمة: لو دخلت لها بالأمس لكانت الآن بين أيدينا... قد تكون أصابت بتلك الحالة من جديد ولكن في المرة السابقة أنقذها سمير في نفس اللحظة... بينما الآن قد فات الأوان.. وأمي ماتت. أنا وسمير السبب.. وأجهشت بالبكاء منهارةً.

جلس أحمد بجوارها على الأرض وهما ينظران إلى جثة سميحة.. همّ أحمد بضم نور مهدئًا إياها قائلًا لها: لا تقولي ذلك.. ذلك قضاء الله وقدره.. ادعي لها بالرحمة.. هذا مقدر ومكتوب.

***

بعد ذلك الموقف أي قبيل المغرب قرر سمير أن يتصل بنور كي يطمئن على أمه يشعر بأن هناك شيئًا ينغص عليه فرحته، عندما رأت نور اسم سمير على هاتفها توترت وسألت زوجها: ماذا أفعل هل أصارحه؟

- يجب أن تقولي له الصراحة...كي يحضر ويخبر أهله في القرية ونسافر معًا إلى الشرقية ويتم الدفن في مقابر العائلة.

أردفت نور وهي تبكي لا أقدر أن أكلمه، صدقني أشعر بأننا مذنبين في موت أمي.

- استغفري الله يا نور... لا تعترضي على قضاء الله... أنا سوف اتصل بسمير وأوضح له.

اتصل أحمد بسمير وحكى له كل ما حدث بالتفصيل.

صدم سمير وانهار وعلمت ميار بالذي حدث.. شعرت أنها هي السبب.. وأن قدمها سيئ في حياة سمير واجهشت بالبكاء لائمةً نفسها بأنها السبب.

هدأها سمير وهو يحاول أن يتمالك نفسه شاعرًا بالذنب وقال لها: لا لسنا نحن السبب صدقيني.. أولا: هذا قضاء الله وقدره.. ثانيًا: هذا الذي حدث يعد إلى حالتها النفسية... أمي نرجسية جدًّا وحالتها تلك تمنعها من أن تتقبل أن يكون مَن حولها له قرار؛ يجب أن يكون تحت طوعها فقط... هي تعبت بسبب تقديرها العظيم لذاتها وأنها رافعة سقف توقعاتها بي بأني سوف أقدرها أكثر من كونها تقدر ذاتها... هي تعتبرني أني لها فقط، لا يمكن أن نبعد عن بعض بتاتًا ولو قليلًا.

وحكى لها الأسطورة اليونانية عن الشاب الوسيم **نركسوس** الذي عشق ذاته حتى الموت. هم يموتون لأنهم يحبون ذاتهم بشكل مبالغ فيه ويطلبون ممن حولهم أن يعيشون لهم فقط ويحبونهم بجنون... دون أي حرية للطرف الآخر بتاتًا.

بكى سمير وهو يتكلم عن حالة أمه.. وقال: كم كنت أتمنى أن تكون أمًّا عادية... لا أريد أن أندم على شيء ولكنني حزين على فقدها. أنا حزين لأني كنت أرغب في العودة لها من جديد وأن نأخذ رضاها أنا وأنتِ معًا، الله يعلم كم أنا أحبها.. وكم أفتقدها.

أجهشت ميار بالبكاء هي الأخرى وهي تعانق "سمير" واضعةً رأسه على صدرها وتربت على كتفه وكأنه طفلها وهو يبكي على فقد أمه وأنها ماتت قبل أن يرجع إليها ويحاول معها ويرضيها.

أخذ سمير وميار ونور وأحمد جثمان سميحة وعادوا بها إلى الشرقية وقاموا بدفنها... حزن الجميع عليها برغم فظاظة طبعها.. وقد سامحها الجميع وكم تمنوا أن توافق هي بالصلح معهم قبل وفاتها.

***

في النهاية قررت نور العيش في شقة أمها كي تكون بالقرب من سمير.. وأن تشعر بوجود أمها بالقرب منها... أصبحت نور تتخيل أمها في كل مكان... وها هي تسمع صوتها أيضًا غاضبة صارخةً... ولا تنام إلا على سرير أمها في نفس الاتجاه الذي وجدت أمها به في آخر مرة.

سمير وميار وابنتهما سميحة يقضون بعض وقتهم في شقة أمه... وها هو سمير لا يحلو له مشاهدة التلفاز إلا في شقة أمه على كرسيها المذهب المفضل.

رحلت سميحة ولكن روحها لا زالت تحوم في شقتها... يشعر بها سمير ونور..

سمير ونور يوميًّا يستيقظان مفزوعين على صرخة أمهما.. ولكن تلك الصرخة تجعل يومهما أفضل، يشعران أنها هنا.. ها هي معهما... لا زالت توقظهما ومنتبهة لكل تحركاتهما.

★★★

تمت بحمدالله

٩-٧-٢٠٢٠

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

Insta: rania1ramadan